ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Assist.professor. Kava Azeez braim

University: Saladin University

College: College Of Arts

Email : Kawa.braim@su.edu.krd

Keywords:

development of civilization, moral values, interpretation of history, concept of progress, Schweitzer

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received 3 Mar 2024

Accepted 13 Jun 2024

Available online 1 Jul 2024

The nature of the concept of civilization in light of theses

German thinker Albert Schweitzer 1875-1965

A B S T R A C T

The importance of this research lies in the fact that it dealt with the ideas and propositions of the German thinker Albert Ashfetser with some analysis and scientific scrutiny in order to reach the scientific facts according to the academic perspective, especially since his propositions were characterized by a lot of strength and scientific prestige at the level of studies and research related to this concept that needs some know-how. And historical awareness, so that a person can stand on the truth of the matter and reveal what it is, its most important achievements, gifts and natural characteristics.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss16.3445

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ماهية مفهوم الحضارة في ضوء طروحات المفكر الألماني ألبرت اشفيتسر١٨٧٥-١٩٦٥

ا.م.د. كاوه عزيز برايم/ جامعة صلاح الدين \ كلية الاداب

الخلاصة:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يتناول أفكار وطروحات المفكر الألماني ألبرت اشفيتسر بشيء من التحليل والتدقيق العلمي بغية الوصول الى الحقائق العلمية على وفق المنظور الأكاديمي، لاسيما أن طروحاته قد تميَّزت بالكثير من القوة والمكانة العلمية على مستوى الدراسات والبحوث المتعلقة بهذا المفهوم الذي يحتاج الى شيء من الدراية والوعي التاريخي، حتى يتمكن فيها الانسان من الوقوف على حقيقة الأمر والكشف عن ماهيته وأهم منجزاته وعطاءاته وسماته الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: تطور الحضارة، القيم الأخلاقية، تفسير التاريخ، مفهوم التقدم، اشفيتسر

المقدمة:

تعدُّ دراســـة ماهية ومفهوم الحضـــارة من الأعمال الشـــاقة التي تحتاج إلى كثير من الدقة والشـــفافية والموضـــوعية العلمية على وفق أســـس أكاديمية، نظرًا لكون ذلك المفهوم يحوي في طياته أهم الإنجازات البشـرية التي اسـتطاع فيها الانسـان إثبات ذاته بقدراته العقلية والعلمية ، إذ شـملت الإنجازات تلك الجوانب الروحية والمادية معًا، على أسـاس أن الحضـارة في مفهومها العام تعني جميع المكتسـبات المادية والروحية التي أوجدها الانسـان في مسـيرته في الوجود، وهذا ما يعمِّق الدراسـة والبحوث المختصـة بها بالوقوف على كيفية سـير العملية الحضـارية من تكوينها في الأطوار البدائية سـواء من قبل أفراد موهوبين اسـتطاعوا باختراعاتهم العلمية اكتسـاب عقلية جميع أبناء المجتمع الذي تحوَّل إلى قوة مسـاندة وداعمة لذلك للتحول الحضـاري، ومن ثم السـير نحو تحقيق تقدم منشـود يشـهد له الواقع بما وصـل إليه حال الانسـان من رفاهية وسـعادة رفعت الكثير من الصـعاب عن كاهل البشـرية في الطبيعة التي يعيش فيها الانسـان،لاسـيما بسـيطرة الانسـان على الطبيعة تلك والتحكم بها وجعلها في خدمة الأغراض البشـرية بدل أن تكون من العراقيل والصعاب التي طالما عانى منها الانسان قبل التكوين الحضاري، ومن ثم دخول الحضارة في مرحلة الانهيار والفناء من الوجود التي هي في حقيقة الأمر من سنن الله سبحانه وتعالى في الكون، ذلك من طروحات وآراء المفكرين القدماء والمعاصرين.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

من هؤلاء المفكرين المعاصـرين ألبرت اشـفيتسـر الألماني الذي حاول قدر الإمكان إعطاء نوع من الأفكار والآراء ضـمن هذا الحقل التفسـيري للتاريخ، إذ ولد وترعرع في ظل هذه الحضـارة الغربية الحديثة وأخذ تربيتها وتعلَّم منها، إلا أنه مات في إفريقيا، بمعنى آخر كان شـاهدًا على الانجازات التي حققتها تلك الحضـارة والتي تكوَّنت وتشـكَّلت ضـمن مفهومها المادي الصـرف، مما دفع بهؤلاء الناس إلى محاولة دراسـة التاريخ و الحضارة بغية الوقوف على حقيقة هذا المفهوم وما يحيويه من مفاهيم سواء تمثلت بالجانب الروحي الذي هو بحسـب وجهة نظر هذا الفيلسـوف جوهر الحضـارة وكذلك الجانب المادي الذي هو الآخر من المرتكزات الأسـاسـية للحضـارة وإن جاء بمرتبة أقل من المفاهيم الروحية،وهذا ما جعله يختصُّ بدراسـة الحضارة ببيان هذا المفهوم على حقيقته لاسيما كونه مفيدًا للبشرية أو أنه مضر بها وهذا ما سنتناوله في سياق البحث.

فيما يتعلق بمضـمون البحث فقد اقتضـت طبيعة البحث تقسـيمه إلى مبحثيين رئيسـين، إذ يتناول المبحث الأول ماهية دور الفلسفة في صيانة قيمة المكانة العلمية للحضارة والحفاظ عليها، وكذلك حاولنا فيه بيان كيفية الصـيرورة التاريخية للمفهوم الحضـاري وأهم العوائق والمشـاكل التي تواجهها في ضـوء طروحات ألبرت

اشفيتسر، فيما يخص بالمبحث الثاني فقد تضمن ماهية المفهوم الحضاري من خلال أهم المرتكزات والأسس التي تقوم على أفكار ألبرت اشفيتسر، وفي الختام يمكن القول بأن آراءه كانت مفيدة للدراسة لاسيما أنه أكد على أن الحضارة في طابعها الحقيقي إنما تكمن في المفاهيم الأخلاقية التي تفيد الانسانية كثيرًا بعيدًا عن المظاهر والأشكال المادية التي قد تأتي بالكثير من الويلات على البشرية كما كان الحال مع الكثير من الحضارات الانسانية لهذا العالم.

المبحث الاول:- ماهية المفهوم الحضاري وأهم عوائقها عند ألبرت اشفيتسر.

ولد ألبرت اشفيتسر في ١٤يناير سنة ١٨٧٥ في قرية كايزربرج في الالزاس العليا التي ضمت إلى ألمانيا سنة ١٨٧٠، فنشأ ألماني اللغة والقومية، إذ عمل والده قسيسًا في إحدى الكنائس البروتستانتية، وما لبث أن انتقلت أسرته إلى قرية جونزباخ في وادي مونستير، وظهر عليه الاهتمام بالتاريخ والعلوم الطبيعية منذ صغره، وحصل على شهادة الدكتواره في باريس سنة ١٨٩٩، ثم رجع إلى ألمانيا للتدريس في برلين، واستمر بدراسته للعلوم والتاريخ في ألمانيا، إلى أن انتقل الى إفريقيا فيما بعد، إذ إنه توفي في الغابون سنة ١٩٦٥، ودفن هناك. (اشفيتسر:١٩٨٣: 1)

يعتقد المفكر والطبيب الألماني اشفيتسر أن الفلسفة في بداياتها الأولى في اليونان لم تستطع أن تخرج بالمفاهيم والقيم الأخلاقية من بوتقتها التي بنيت على وفق العقلية الشعوبية البسيطة إلى إطار علمي محدد بأسس معينة ومتينة ضمن مفهوم نظري ذي نطاق محدد، إذ لم يكن بمقدورهم ترميم تلك القيم وبناءها من جديد بحيث يتوافق مع متطلبات العصر، وهذا ما جعل من المفاهيم الأخلاقية تلك التي تتكون وتبنى عليها الحضارات، وكأنَّها بمعزل عن البشرية وتحولاتها، التي تكاد تخلو من وجودها حول العالم، وهذا ما دفع بالفلسفة إلى التراجع أمام قوة ومكانة العلم التي أصبحت أهم مرتكز يسند عليه الانسان ظهره من أجل كشف الحقائق والوقائع في الوجود، ومن ثم غابت شمس الفلسفة ونجوميتها عند الانسان،(اشفيتسر:١٤:١٩٨٣) ، يبدو أن قدماء الإغريق قد حاولوا قدر الإمكان نشر بعض من الوعي التاريخي لدى الانسان من خلال العمل الزراعي والتمدن ومنح المرأة قدرًا من المكانة، وهي المميزات والخصائص التي انفردوا بها بعد تلك المفاهيم من السمات الجوهرية لأي مجتمع حضاري متمدن، وعدت الركيزة الأولى فيما بعد. (مازلش، ٢١:٢٠١٤).

وقد يكون ذلك صحيحًا نوعا ، ذلك أن الفلاسفة الإغريق لم يكن لهم أسس معينة تكون فيها القيم والمفاهيم الأخلاقية منظور إليها بفكرة وأسس فلسفية دقيقة، إلا أن ذلك لا يعني أنهم لم يتطرقوا إلى تلك المفاهيم أو لم يجدوا لها مكانة فلسفية، إذ إن الكثير من الفلاسفة من أمثال أفلاطون وارسطو وغيرهم قد أكدوا

في طروحاتهم على الكثير من المفاهيم الأخلاقية منها على سبيل المثال الفضيلة والحرية والشجاعة وغيرها من الأسس ضمن طروحاتهم الفكرية والفلسفية.

واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهرت البراجماتية التي تمثلت في حركة أو فكر فلسفي جديد حاول قدر الإمكان إثبات أنه لا يمكن تكوين نظرية فلسفية محددة ضمن إطار معين لمختلف العلوم الاجتماعية التي تكون لها القدرة على منح البشرية قوانين وأطرا معروفة بغية كشف الحقائق والواقع، نظرًا لكون تلك العلوم متداخلة ومعقدة أصلًا فيما بينها،وعدت هذه الحركة بمثابة نقد علمي للفكر الفلسفي القديم الذي اتسم بكونه بسيطًا مبنيًا على تقاليد بدائية. (ابو السعود،٢٠١٢:١١٨)، وتكمن الإشكالية في الفكر الفلسفي القديم في أنه قائم على أساس أن القيم والمفاهيم الأخلاقية إنما هي ثابتة وغير قابلة للتغير من الفضيلة والخير والجمال وغيرها من الأسس، بينما الفكر والفلسفة الحديث يرى عكس ذلك، إذ يمكن القول أن بعض القيم والمفاهيم الأخلاقية تختلف بمفهومي الزمان والمكان .(الالوسي، ١٩٨٩: ١٦).

وقد حاولوا من المفهوم العلمي إثبات ذلك، إذ يعتقد الكثير من المفكرين المعاصرين أن العلم هو إحدى الوسائل الضرورية لمعرفة العالم، إلا أن التصور الذي ظهر مؤخرًا عن هذا المفهوم خرج من سياقه المعروف كونه آلة أو وسيلة الغاية منها تغير العالم، لاسيما من طريق المنهج والممارسة العملية التي تقودها أكثرية دول العالم الحديث والمعاصر بالإستناد الى النظريات والطروحات الفكرية للفلاسفة والمفكرين الذين حاولوا إثبات برهان ذلك المنطق. (رسل: ٢٠٠٨:١١٤)، الذي اتسم بإيجاد نظريات حديثة للمفاهيم والقيم الأخلاقية بوصفها مبنية على أسس نسبية سواء اختص الأمر بالأفراد أو بالجماعات البشرية ، وهذا ما اصطلح عليه فيما بعد من قبل العالم بعد الثورة العلمية التي تحققت بالأخلاق النسبية، من المبدأ الذي يؤكد أن تلك المفاهيم إنما هي في حقيقة الامر نابعة من قوة مصدرها الكينونة الانسانية وفقا لشروطها وأغراضها وتحقيقًا لرغباتها في الوجود. (سيس: ١٩٩٨:١٣٢). بمعنى آخر إن تلك القيم إنما هي في حقيقة الأمر قابلة للتغير والتحول عندما يرى الانسان ذلك ضروريا في حياته في المراحل التاريخية المختلفة، وهي في الأصل ليست كذلك، إذ لايمكن قبول أن الكذب قد يصبح يومًا ما مسألة نسبية قد تفيد الانسان يومًا في سبيل تحقيق رغباته، والأمر نفسه مع الخداع والتضليل والتزوير، إذ تبقى المفاهيم تلك في كل الأزمان والأماكن أمورًا أخلاقية لا يمكن تجاوزها تحت أية مبررات اقتصادية كانت أو سياسية أو غيرها من الأمور التي قد تحقق منفعة شخصية إن جاز القول، إلا أنها تشكل كارثة على سائر المجمعات الانسانية كما نراه في حياتنا اليومية من أمور شرعنت على أساس أنها مفيدة لوجودنا، إلا أن ذلك كان غير صحيح تماما، إذ يمكن القول إن الطاقة النووية تولد الكهرباء لنا وتضيء وتنور في الظلام، لكن ما هي مؤثرات ذلك فيما بعد؟ وهكذا .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يمكن القول إن مفهوم العلم أصبح في زماننا المعاصر بمثابة إله يعبد وكأنه اسطورة كذلك، لاسيما أن الانسان المعاصر اختلط عنده مفهوم العلم وماهيته، بحيث حل مكان الفلسفة وكذلك أصبح مقدسًا لدرجة التقديس الديني، من ضرورته للانسان التي تستطيع تحقيق رغباته في العلو والتقدم والتحول الكبير نحو القمة. (هازار: ٢٠٠٩:٣٩٢)، التي تحققت في الأزمنة المختلفة وعلى وجه الخصوص في الزمن المعاصر عندما تمكن الانسان من الوصول الى السماء والفضاء الخارجي بتوظيف المفاهيم العلمية التي ساعدته في ذلك، والأكثر كان في عودة البشر من الفضاء الخارجي بسلامة كبيرة نحو الارض، مما فتح المجال أمام تصورات الانسان أن العلم هو كل شيء بنوع من المطلقية ، إذ إن له القوة والقدرة على تحقيق ما يريده الانسان من الرغبات والطموح بالرغم من إنكار كثير من الناس لهذه التصورات. (كوك وسميث، ٢٠٠٩:١٣٩)،التي تجعل من الانسان مجردًا من القيم الروحية التي تؤثر سلبًا في المفهوم الحضاري، لاسيما من خلال ظهور أعراض التمرد والعصيان لما يسمى بمفهوم اللامنتمي لكل ما هو قيمة روحانية. (ويلسون، ١٩٨٢:٣٩٧)، إذ يمكن ملاحظة ذلك قي الوقت الراهن بوضوح من خلال رفض كل ما هو غير قائم على أسس علمية وفق عقليتنا المعاصرة التي ترفض حتى الكثير من المبادئ الرئيسية للأديان أو يعدها مسائل وأفكارا بالية تعود للزمن الماضي، هذا مع الأخذ بعين الحسبان أنه هنالك الكثير من الأمور والمعطيات التي أكدها العلم في وقت سابق إلا أنه في الوقت الحالي يؤكد على عكس ما ادعاه، بمعنى آخر أن العلم لوحده غير قادر على بيان كل شيء من هذا الوجود المعقد والغامض الذي يحوي في طياته الكثير من الألغاز والرموز التي لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا ما تؤكده الأديان وبالأخص الإسلام على محدودية القدرة العلمية للبشرية في هذا الوجود الانساني.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ومن ثم يشير ألبرت اشفيتسر الى أنه بهذا النوع من العقلية لا يمكن بناء حضارة راقية ومتينة متقدمة على وفق أسس إصلاحية، لاسيما مع المفاهيم الجديدة من النظرة الأخلاقية للحياة التي اتسمت بالضعف والعجز مع ابتعادها عن المفهوم الأخلاقي الصحيح، بحيث خلقت جوًّا من الضعف الايماني بالمعتقدات التي لطالما كانت السبب في التكوين الحضاري الحقيقي، ودفعتها نحو القمة المنشودة، بمعنى آخر أنه لا وجود للحضارة من دون وجود الأخلاق بمفهومها الصحيح. (اشفيتسر،١٩٨٣:١٥). إذ إن هنالك مؤشرات على أن الأخلاق في حد ذاتها إنما هي قوة فكرية مرتبطة أشد الارتباط بالحركة الانسانية من العمل والقول، أو بمعنى آخر إنها مرتبطة بالانسان وصيرورته لحد كونه جزءا لا يتجزأ من كينونتها في الحياة (ماس:٢٠١٢:٢٣٩)، هذا فضلا عن أن ماهية الانسان تتطلب القيم الأخلاقية بغية تجاوزها المفهوم الحيواني، نظرًا لكون التصرفات والحركة الانسانية يجب أن تكون نابعة من تأثيراتها من أن تلك القيم لا تحث الانسان فقط على ما هو خير وشر،بل تدل البشرية على الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة.(رسل: د.ت:١١). وهذا هو عين

المعضلة والاشكالية، قد يؤكد العلم والمفاهيم المادية للحضارة على أهمية القيم والمفاهيم الأخلاقية؛ لأنها دائمًا ما تسوّغ الوسائل التي تودي إلى تحقيق المنفعة المادية بغية التكوين المادي لأية حضارة انسانية.

يمكن ملاحظة ذلك الأمر على الحضارة الحديثة الغربية التي جاءت بمفاهيم أخلاقية جديدة يشوبها الكثير من النقص ونقاط الضعف، منها على سبيل المثال انعدام تعريف كامل وشامل للطبيعة البشرية بغية تحقق غاياتها في هذه العالم، إذ تتوقف النظريات الحديثة على رفع الاستغلالية الأخلاقية؛ لكي تكون هي بمثابة الخير الاسمي للانسانية. (فوكوياما،١٥٦:٢٠٠٦-١٥٧)، لاسيما أن تلك النظريات الحديثة قد واجهت مفهوم الاخلاق كخصم وجدار صلب، إذ عملت على التخلص منها واقتلاعها نهائيًّا، إلا أنه لم يكتب لها النجاة والفلاح، وهذا ما تسبب في إشكالية كبيرة تمثلت في إبعادها عن الواقع الانساني للحياة،وفي الوقت نفسه لم تأتِ بجديد من أسس ومرتكزات أخلاقية يبنى عليها الواقع الحضاري فخلصت إلى القول بأنه لا جديد مفيد وصالح ولا قديم له قوامة وقوة في العقل البشري المعاصر.(السامرائي: ١٢٤:٢٠٠١)

يمكن القول إن أية حضارة انسانية إن حاولت رفع القيم الأخلاقية من قوانيها وتشريعاتها، فإنها تفتح الأبواب على مصراعيها أمام الأفراد الطامعين والأنانيين الذين يتحولون بصورة طبيعية إلى مجرد مفهوم الشر بوصفهم فاقدين للأخلاق وماهيتها بصورة عامة بمعزل عن تعميم الصورة الاجتماعية ككل على هذه النمط من الأشرار، ويتكون نوع من الذهنية الانسانية القائمة على أساس أنه هنالك فرقًا ما بين التصورات والأسس الأخلاقية وما بين مفهوم الحضارة بشكل عام. (بينوش: ١٨٣:٢٠١٣)، وهي من سمات النزول الحضاري من القمة نحو الهاوية التي تتخذ طابع التدرج، بمعنى أن إبعاد تلك المفاهيم الأخلاقية إنما هو نوع من العلامة الدالة على نذير قادم يتمثل بإفساد الحضارة وتحللها وإن كان بصورة غيرسريعة. (ديورانت:٨٧:١٩٩٣.)

إذ تغذي ذلك الأنانية والدوافع الشريرة الموجودة في الكينونة البشرية التي منحت توظيفها عند الانسان بفعل وقوة الأخلاق،بالتالي يمكن القول إن ذلك يعنى بروز المفاهيم غير الصالحة تلك وتكون العقلية الجماعية فيما بعد على وفق أسسها. (الجندية:٨٥:٢٠١١)،. إذ إنه من المعروف أن الحضارة تبنى على مرتكزين أساسين أحدهما يتمثل في الجانب النفسي الروحاني للانسان والجانب الآخر يتمثل في الماديات، إذ إن الأول هو ما يمنح الانسان بوصفه فردا مسمياته النفسية من القيم والمفاهيم الروحانية بوصفها ظواهر ضرورية له في وجوده في الحياة وهذا ما يعطي الحضارة مفهومها المنطقي المتكامل. (لنتون: ١٩٦٤: ٦١). يمكن تسمية كل ذلك بفقدان التوازن لماهية الحضارة، إذ لا يمكن لها أن تدوم ويكون لها المعطيات الإيجابية للانسان من دون أن تسير على وفق منطق التوازن ذلك، بالرغم من أن الكثير من المفكرين يشيرون إلى أن الحضارة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يمكن أن تسير و تستمر عجلتها بالدوران بالأعتماد على القيم الروحية أما اعتمادها على القيم المادية فهذه هي الكارثة والإفساد بعينه سواء اعتقدنا بذلك الأمر أم أنكرناه .

والذي يظهر جليًّا عند دراسة وتحليل الحضارات السابقة من الرومان والفرس وغيرهم من الأمم والمجتمعات الحضارية في العالم، هو أنه انتهت عصور هؤلاء بسبب فقدانهم لعنصر أساسي تمثل في استبدال وتغير المفهوم النفسي والقيم الروحانية مما مهد الطريق نحو انحدار وتهاوي القيم الأخلاقية فيما بعد، إذ لا توجد أمة او مجتمع حضاري واحد للتاريخ البشري انهار و تهاوى بفعل التقدم أو التطور وإنما كان ذلك بفعل وقوة فقدانهم للقيمة الأخلاقية.(لوبون: ١٢٩:٢٠١٤-١٣٠)، قد يكون ذلك صحيحًا من الناحية الظاهرية للأمر، إذ لايمكن سقوط مجتمع حضاري بفعل التطور العلمي، وإنما تأتى ذلك من النظر إلى ماهية العلم وكيفية توظيفه في حياتنا اليومية والتقدم والتطور الحاصل منه، لاسيما في المجال المادي على حساب الأخلاق والمفاهيم الروحانية ككل كونها تجرد البشر من طبيعته الأساسية في الوجود.

وهو ما اصطلح عليه في عصرنا الحالي بمفهوم الأخلاق النفعية التي قامت على وفق المنظور المادي البحت للحضارة، إذ تعطي الحق الكامل للانسان بالحركة والعمل الحضاري من التقدم و التحول على وفق أسس من المنفعة والمصلحة المادية بغية تحقيق مصالح انسانية متجاوزة للحدود والقيود العاطفية والغايات الانسانية ذات الطبيعة الأخلاقية. (المسيري:١٩٧:٢٠٠٢)،إذ إن ذلك إنما يحقق الخير والمصلحة الأكثر سموًّا للانسان كما يعتقد بها أصحاب النظريات المادية، هذا مع الأخذ بعين الحسبان أن للانسان دوافع وغايات متنوعة لا حدود لها من جمع الثروات وماهية العظمة وكذلك الرفاهية وغيرها من الغرائزالمختلفة. (ديني:٩:٢٠١٢-١٠)، والتي تنمو بصورة كبيرة عند طبقات معينة يطلق عليها أنها نوع من الطبقة الطفيلية الخبيثة، إذ بالرغم من قوة وأهمية المفاهيم الأخلاقية التي لا تساوي شيئا عند هؤلاء مقابل مصالحهم المادية على حساب الآخرين من البشر، مما يولد الكثير من الشرور والمظالم والحروب المأساوية. (حسن: ١٤:٢٠١٣-١٥)

هذا ما يولد نوعا من الانقسام الاجتماعي لأية أمة حضارية في حالة تطورها وتحولها الكبير، لاسيما فيما بين أفرادها الذين يفقدون العقلية الموحدة والمشتركة فيما بينهم، ومن ثَمَّ لا يمكن وجود أمة أو مجمتع مدني بالمعنى الدقيق، كأمة حضارية قائمة.(بن نبي:٣٨:١٩٨٦)، لاسيما أن المفهوم الصحيح للحضارة إنما يأتي من أن تقوم البشرية بحمل لواء القيم والمفاهيم الأخلاقية التي لها القدرة على إحداث تغير جذري وحقيقي للنفوس الانسانية في التاريخ.(عبد الحميد:٤٣٨:٢٠٠٧)، يمكن القول وفقًا للمنظورالأكاديمي إن آراء اشقيتسر كانت في غاية الدقة العلمية، لاسيما مع سيادة الحضارة الغربية في عصرنا هذا، إذ كان هو من الفلاسفة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

والمفكرين القلائل الذين أكدوا أهمية الجانب الأخلاقي الحقيقي في بناء الحضارات، بعكس المفكرين الآخرين الذين شجَّعوا التحولات الحضارية المادية مبررين أفكارهم على أساس أن القيم الأخلاقية إنما كانت جزءًا من الماضي البشري، وتميزت بكونها عثرة أمام تقدم الانسان طوال تلك الفترة، إذ إن تحقيق الرفاهية والسعادة وفق المنطق المادي إنما هي الأخلاق بعينها وهذا ما ترجم بالفعل على أرض الواقع، وإن كانت على حساب القيمة والمكانة البشرية والدماء الانسانية لشعوب العالم والذي يمكن ملاحظته بكل سهولة في وقتنا الحاضر.

ثم يشير اشفيتسر في طروحاته إلى ذلك القول الذي مفاده أن النظريات والأفكار الفلسفية تغيرت بصورة جذرية فبعدما كانت المنبع والمصدر للكثير من المعتقدات والأسس النظرية العريقة للماضي البشري، تحولت اليوم بفعل وقوة التأثيرات المادية إلى مؤسسة اقتصادية همها يكمن في ماهية مفهوم القيمة الربحية لها، بمعنى آخر أصبح الفكر والقيم الفكرية مجردة من روحها التي طالما منحتها حق الإبداع والتحول الانساني وفق الأسس المنطقية للحياة، والتي وقعت تحت تأثير الأسس المادية. (اشفيتسر:١٦:١٩٨٣)

ذلك صورة طبيعية لمجتمع متحضر فقط من الناحية المادية، إذ تكون الضغوطات لدرجة كبيرة لا يمكن لأحد التفكير سوى بالأمور المادية نظرًا لتحول المجتمع من ماهيتها الانسانية إلى مفهوم استهلاكي بشكل عام بسبب التحولات الإنتاجية الضخمة.(باومان:٨٦:٢٠١٦)،الذي جعل من المفكرين والفلاسفة المعاصرين يؤكدون على أن هدف الانسان من وجوده إنما هو لذاته وكينونته فقط دون مراعاة المعتقدات السابقة التي كانت تؤكد على أهمية الحسابات الدينية للحياة، مما فسح الطريق أمام فرض الهيمنة المادية على كل الجوانب الحياتية بما فيها المنابع الفكرية والدينية. (فروم:١٦٨:٢٠٠٧)،التي تميزت بنوع من العجز والضعف أمام قوة التطورات المادية التي تفرض عليها هيبتها ومنطقها، من ثمّ مهد الطريق أمام قيادة الفكر المادي المنفعي للانسان من تفردها كدافع رئيس للبشرية في تحولاتها وتطوراتها الحضارية التي يمكن تلخيصها في تراجع مكانة القيم الأخلاقية أمام سطوة وقوة التحولات المادية الكبيرة تلك كإنجازات مهمة للبشرية.(الجندية: ٤٩:٢٠١١-٥٠)

تكمن الإشكالية في أن الحضارة المادية لا تعتمد على البحوث والدراسات الفكرية التي لا تفيد مسألة الانتاج كما هو واضح وجلي في عصرنا هذا، إذ تم تسخير الأجواء والبحوث بغية تحقيق أكبر قدر ممكن من عمليات الإنتاج التي تسير عليها الدول والكيانات السياسية في العالم اليوم بمؤسسات علمية كبيرة تحاول قدر الإمكان القيام بدراسات وتقيمات علمية تفيد المنطق المادي حصرًا. (دوبار: ١٨:٢٠٠٨)، لاسيما أن الاعتقاد السائد عند المفكرين وفلاسفة الحضارة المادية كان مبنيًّا على أساس أن الحضارة تسير نحو الأمام بالتقدم والتطور وأنها كانت مرتكزة على أحد الجوانب دون الجوانب الأخرى لها، إلا أن الواقع أثبت عكس ما ذهبوا

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

إليه في بدايات القرن العشرين وما تلتها من إشكاليات في الحياة الانسانية جراء تلك التصورات التي فرضت على العقلية الأوربية طوال أكثر من قرن و نيف من الزمن المعاصر.(هوبزباوم:٢٨٧:٢٠١٥). وفقًا للآراء التي سبقت وحسب فهمنا المتواضع يمكن القول إن الفكر والفلسفة لم تقع تحت تصرف المفهوم المادي، وإنما ان جاز القول هنالك نوعين من الفكر الانسانى أحدهما يحاول قدر الإمكان وضع حدود معينة للتحرك البشري ضمن ضوابط وقواعد معروفة بغية إعطاء السمة الحقيقة للبشرية في وجودها حتى لايقع في إشكاليات وكوارث وأزمات تجلب الدمار والخراب للانسانية على العموم، بينما يرى المنطق الآخر أنه لايمكن تحديد ماهية حركة الانسان من كيفية توظيف الوسائل وماهية الغايات التي تريد الانسانية الوصول إليها بمبدأ الحرية الكاملة والمطلقة لها، بهدف تحقيق أكبر قدر ممكن من الرفاهية و السعادة للانسان وإن كانت آثارها مدمرة وتفني البشرية فيما بعد، وهذه الفكرية هي التى تسود المجتمعات الحضارية ذات الصبغة المادية المطلقة وترفض منطق وأفكار الآخرين التي تنادي عكس ذلك.

ثم يستمر اشفيتسر في طرح أفكاره، إذ يشير الى أن الحضارة إنما هي من انتاج وعمل الأفراد والجماعات البشرية في مرحلة زمنية يصلون فيها الى نوع من الفهم والقدرة العقلية يستطيعون بذلك إدراك ماهية الطرق والوسائل المؤثرة في القيام الحضاري منها الانسجام والتكيف مع الواقع الذي يعيشون فيه بغية تحقيق التقدم الانساني المنشود، والتي تتطلب شرطين أساسين أحدهما يتمثل في التصور والمعرفة الفكرية لكيفية سير العجلة الحضارية بما يتوافق مع ما يفيدها من خلال الأخذ بالمثل والقيم الحضارية الأسمى، أمَّا الشرط الثاني فيكمن في ماهية الحرية التي لطالما كانت أحدى الركائز الأساسية في قيام أية حضارة انسانية، إذ لا يمكن ذلك دون أن يكون للإنسان الحرية الكاملة بغية منح البشرية عطاءَ ها الفكري بصورة صحيحية ومنطقية.(اشفيتسر:٢٠:١٩٨٣-٢١)

إن مسألة ماهية الفكر التي يتم توظيفها من المرتكزات المهمة للعمل الحضاري في مختلف العصور والأزمان الانسانية، وهذا ما يشير ويؤكد عليه المفكرون والمؤلفون المعاصرون عندما يؤكدون أن الاختراع والابتكار الحضاري يتسم بنوع من الخطورة، عندما لا يتم على وفق أسس فكرية سليمة وغير موجهة للإفادة البشرية، بل تلعب دورًا سلبيًّا في الكثير من جوانب الحياة المختلفة وبشكل يتصاعد شيئًا فشيئًا لدرجة تصل البشرية بها إلى مرحلة الفناء والتدميرالوجودي لها.(غينون: ١٢١:٢٠١٩)، لاسيما أنه لو أخذنا الحضارة بوصفها مفهوما فإنها نابعة من الفكر والقيم الروحية ذات الصبغة الدينية العليا والأسمى للبشرية، ولا يمكن تفريقها عن ذلك الطابع تحت أيّ مسمى. (الندوي: ٢٧:١٤٠٢)، عكس ما يذهب إليه الفكر اللا محدود للانسان عند التحول الحضاري في العصر الحديث، إذ وصلت البحوث العلمية الى أمور خطيرة من حيث عملية نقل واستبدال الجينات البشرية والتي تباهت بها الحضارة الانسانية المعاصرة، ومع ذلك فقد كشفت خطورة ذلك

على مستقبل الطبيعة البشرية بتفشي وانتشار الأمراض البكتيرية في العالم من دون أن يكون لأحد أية قدرة في الوقوف أمام ما يترتب عليها من مشاكل انسانية آنذاك. (صالح: ١٣٢:١٩٨١)

اذ إن في توظيف الأفكارغير الواعية في البناء الحضاري فيها من الأثر ما لا يحمد عقباه، كما هي الحال مع عقلية الزمن المعاصرالتي بنيت على أساس ماهية اللذة والألم للبشرية، إذ إن كل شيء فيه اللذة للانسان يعني أنه مفيد وجيد ويجب العمل عليه وتطويره، أما إذا كان متميزًا بكونه يمنح الانسان التعب والألم النفسي فهو غير مفيد وغير جدير بالاهتمام والتطور. (رسل:١٥٨:١٩٨٣)، وهذا ما يكون له تداعيات سلبية على طريقة حياة الانسان من ماهية التربية التي يسير عليها الانسان في تكوين الأجيال الجديدة، والحال كذلك مع مفهوم العلم وما يؤول إليه من أمور قد تكون خارج السيطرة والتحكم الانساني، وجاءت الإشكالية من النظر الانساني الحديث التي اعتمد على جانب معين وأغفل الجوانب الأخرى.(الحفار:١٨٧:١٩٨٣)، كما هو الحال مع الاهتمام المفرط بالكماليات عند الانسان في الفكر المعاصر الذي تكون بفعل وقوة الماكينة والآلة الدعائية للفكر الحضاري الحديث، إذ فرضت على الانسان تغير عقليته لتتطابق مع العقلية المادية ذات المفهوم الترفهي الكمالي غيرالضروري لها، مما أثرت في طريقة عيشها بصورة سلبية. (زكريا:١٨٤:١٩٧٨-١٨٥)، يمكن القول إن ما ذهب إليه اشفيتسر كان في غاية الأهمية إذ إن ماهية الفكر تحدد المسار سواء كانت الطريقة صائبة أم خاطئة، بوصفها الخطوة الأساسية الأولى لقيام أية حضارة إنسانية راقية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفيما يتعلق بالحرية التي يقصد بها اشفيتسر فهي الحرية الفكرية أو الإنسانية التي تعلو فوق كل الحريات الأخرى، منها على سبيل المثال الحرية الاقتصادية التي لطالما تغنَّى بها أصحاب الحضارات المادية في عصور التاريخ المختلفة.

يحاول البعض توظيف هذا المفهوم أي الحرية لأغراض نفعية عندما ينادي بضرورة الحرية التجارية بوصفها إحدى الأسس المتينة للبناء الحضاري، إلا أنهم يدعون إلى شيء من باب المصلحة وتحقيق المنفعة المادية بعيدًا عن منطلقها الحقيقي للحياة.(هيملفارب:٧٠:٢٠٠٩)، الذي يولد الكثير من الظلم وعدم المساواة كما يشهد التاريخ على ذلك، إذ لابد ومن الواجب أن يكون هنالك نوع من الفهم والإدراك الإيجابي للحياة الانسانية، من دون ذلك لايمكن الحديث عن الحضارة بمعناها العلمي الدقيق، وهذا ما يمكن ملاحظته في الحضارة الحديثة وما جلبتها من أزمات وخراب لايمكن أصلاحه من دون العودة الطوعية للانسان المعاصر إلى الأفكار والقيم الكامنة التي تمنح الانسان القوة للنجاة من تلك الأزمات.(مصطفى:٥٠:٢٠١٥)

إذ إن من سمات الحضارة تحرر كينونة الانسان بذاتيتها وكينونتها وبصورة متدرجة بغية تكوين قوة وفعالية جديدة تمنحها المجال للتحول واكتساب الفنون وفهم اللغة والمبادئ الدينية وماهية العلوم وغير ذلك

من الأمور التي تتشـــكل وفقًا لنظرية الحرية الانســـانية.(كاســـيرز:١٩٦١:٣٧٩)، التي نادت بها مختلف الحضـارات الانسـانية بغية التحرر من العبودية والوصـول الى ماهية الحرية لاسيما في الزمن المعاصـر، إلا أن ذلك لم يتحقق بل الأسوء من ذلك أن الانسان فقد الحرية التي كان يتمتع بها من قبل وبصورة نهائية، نظرًا للتحولات المادية الضـــخمة التي أثرت ســـلبًا عليها. (زكريا:٢٠١٨:١١٠)، بحيث ولد نوع من الحرية التي تميزت بكونها ممزوجة مع ظاهرة الخوف وعدم الاسـتقرار النفسـي التي حصـل عليها الانسـان جراء تحطيم وإزالة الروابط الحقيقة للحرية والتي كانت متمثلة بالأواصـــر الاجتماعية المتينة ما بين المجتمعات البشـــرية التى وجدت قبل قيام الحضارة الغربية الحديثة للعالم المعاصر. (فروم: ٢٠١٣:٢٤)

يمكن القول إنَّ الطبيعة البشـــرية لها حدود معينة محددة مهما حاول الإنســـان تجاوز هذه الطبيعة الخلقية على عد إمكانية القفز عليها فإنه في غير صـــالحه وان ادعى ذلك، إذ وفقًا لهذه الطبيعة عليه حفظ التوازن الوجودي لها منها على سبيل المثال مفهوم الحرية، إذ إن حدود الحرية للإنسان محددة ومرسومة مهما ادعت البشـــرية إن هذه الحدود لا نطاق لها فإن هذا في الواقع بصـــورة علمية غير صـــحيح، وهذا ما ذهب إليه المفكرون المعاصـرون، إن الإنسـان فقد الحرية تحت شـعارالحرية نفسـها والأمر كذلك مع المسـاواة والاخوة والرفاهية والسـعادة وغيرها من الأهداف التي إن خرج الانسـان عن حدودها قد تصـبح وبالًا عليها تؤثر سـلبًا على حياتها، والمفهوم المعاكس كذلك أن يصـــيب الانســـان الخمول والكســـل، عندما يغفل ولا يجاهد بغية الوصول الى الحرية المسموحة التي هي الأخرى تؤثر في ماهية الإنسان وطريقة حياته في الوجود.

العجيب في الأمر هو أن الذين يؤكدون على مفهوم الحرية هم أصحاب وأرباب العمل، لاسيما التجار الذين ينادون بكل قوة بمفهوم الحرية والليبرالية كما اصطلح عليه اليوم بمنطق (دعه يعمل) على أساس توفيرالحرية للإنســان.(رســل:١٩٨٣:١٥٩)، ولكنَّ ذلك غير منطقي، كما أنه من الاعتقادات المشـوهة من الناحية العلمية أن الإنســـان البدائي لايتمتع بالحرية والأمان، إلا أن ذلك في غير محله كما يشـــير إليها المفكر الفرنســـي روسو(١٧١٢-١٧٧٨) وكذلك الكثير من الفلاسفة عندما أكدوا أن الشعوب والمجتمعات البدائية تتميز بالكثير من الحرية والســلام والإطمئنان في حياتها.(مؤنيس:١٩٧٨:٢٧٠) ، تعد مســألة الحرية من المســائل المعقدة والشـائكة لاسيما في عصـرنا الحاضـر، إذ يحاول كل فريق أو تيار معين اسـتغلال هذا المفهوم لصـالحه بغية تحقيق مأربه في الحياة وهو مفهوم مطاطي في حقيقة الأمر مما يجعله قابلًا لعدة تفســـيرات وتأويلات مختلفة ويمكن بكل سهولة خداع وتضليل البشر وتحويله الى كينونة فاقدة لكل شيء تحت مسمى الحرية والأمر نفسه مع مفهوم المسـاواة والعدالة والحقوق المدنية وغيرها من المفاهيم التي تم اسـتغلالها وتوظيفها لأغراض غير إنســـانية كما هو الحال في زماننا هذا، إذ تم تضـــليل كل تلك المفاهيم لأغراض منفعية هي في حقيقة الأمر لصالح فئة أو طبقة معينة من البشر بالرغم من ادعائهم أنها في صالح العامة من الناس.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

هذا مع أن اشـفيتسـر يؤكد في آرائه أن المبالغة والتفريط في الوصـول الى القمة أو المجد الحضـاري من خلال الغرائز والدوافع التي تحث وتدفع البشـــرية نحو تحقيق المزيد من الطموح والانتاج المادي القائم على الفكر وماهيته، يولد نوعًا من الاختلاط والتمازج ما بين الكينونة الذاتية للإنسان والتحول الحضـاري الذي هو في نهاية المطاف يفسـد ماهية الحضـارة ويجردها من معطياتها الانسـانية وتتحول إلى مجرد آلة وأداة مادية، لاسـيما مع ازدياد المكاسـب المادية وخروجها عن النطاق المعهود الذي رسـم لها، إذ لو بقي الانتاج ضـمن الدائرة الحضـــارية من دون تفريط أو إفراط لكان الأمر أفضـــل، واســـتطاع فيها الانســـان الاســـتفادة منها واستغلالها في حياته بطريقة منطقية نوعًا ما، وبصـورة مقبولة ومفيدة، أما عكس ذلك فهو يتسبب في فرض العجلة المادية لهيبتها وقوتها بالتأثير في النفوس البشـــرية التى تتميز بفقدان الولاء والحب للأرض والطبيعة التي تعيش فيها، لاسيما مع تكوين المستعمرات الصـناعية المتزايد ، وهذا ما اصـطلح عليه اشـفيتسـر أنه من غير المنطقي أن يكون للإنســـان حياة مســـتقيمة وســـوية مع فقدان ما ذكرناه من أمور تخص حياة الإنســـان، لاسيما فقدان ماهية الحركة والسكون.(اشفيتسر:٢١:١٩٨٣)

إذ إن الآثار السلبية الناجمة عن التطور المادي المفرط والخارج عن حدود المعهود كثيرة جدًّا، إذ ظهرت الكوابيس مكان الأحلام الإنســـانية، وكذلك تمتع الإنســـان بمظاهر الخوف والعنف التي حلت محل الســـلام والاطمئنان وغيرها من الأمور التي اتسمت بالخطورة على حياة الانسان، وفسح لها المجال للانتشار بصورة سـريعة وواسـعة. (باومان:٩٥:٢٠١٦)،لأنه من البديهات أن يقضـي التحول المادي المفرط على الكثير من الأحاســـيس والعواطف التي يتميز بها الإنســـان في تعاملاته اليومية مما يولد نوعًا من العلاقات الاجتماعية السيئة التي تضـر بالإنسـانية ككل في مسيرتها في الحياة، هذا فضـلًا عن الأضـرار التي تصـيب الأرض وما يحيط بها من الطبيعة ومقومات الحياة.(كاسـر:٢٠١٧: ١٥٧)، على عد أن المفهوم المادي إنما هو في الواقع مظاهر ومعطيات خارجية شـكلية للمدلول الحضـاري ولا يمكن الأخذ بها على أسـاس كونها جوهر العطاء ومنبعه ، وإنما الجوهر والعطاء يأتي من القيم الروحية وهي الأساس في ذلك. (لنتون:٦٧:١٩٦٤)

لاسيما أن الزيادة والمبالغة في التحولات الانتاجية من خلال استحداث الابتكارات والاختراعات التي تأتي بتغيرات جوهرية للحياة البشـرية، إذ لو اخذنا هذا الأمر خلال الحضـارة الغربية الحديثة لرأينا حجم الكوارث الناجمة عن تلك التحولات التي لا حدود لها ، منها على سـبيل المثال التلوث البيئي والتكاثر السـكاني الهائل وتضـخم وكبر المدن لدرجات قياسية وتصـحر الأراضـي الزراعية وقلة كثافة الغابات الطبيعة وظهور الكثير من الأمراض الفتاكة والخطيرة التي انتشرت حول العالم، هذا فضلا عن التسمم والأمطار الحامضية وغيرها الكثير من الأمور والظواهر غير الطبيعة الناجمة عن تلك التحولات المادية غير المنظبطة من قبل الإنســـان المعاصـــر. (الوردي:٢٠١١: ٣٧)، إذ يولد نوعا من الكينونة الانســـانية التي تعتمد على الاســـتهلاك، وفي

الوقت نفســـه على عمليات الانتاج من الوســـائل والآليات التي تجعل منها كينونة تتميز بنوع من ضـــعف البصـيرة، إذ يكون مبدأ الانتاج من أجل الانتاج هو الفكرة الرائدة والنافذة لهم بغية تحقيق الأرباح والأموال . (مرسي:٧٦: ١٩٩٠)

كذلك تتسبب التحولات المادية في ولادة الكثير من الصراعات الإنسانية، نظرًا لكون تلك التحولات تؤدي إلى ظهور نوع من التنافس ما بين المجتمعات الإنســانية على إنتاج الســلع والمنتوجات المتنوعة بغية تحقيق مكاســب مادية بغرض زيادة النفوذ والهيمنة على الآخرين. (غروســي وســتانســيو:٨٦: ١٩٨٩)، من تغير العقلية وطريقة عيش الشــعوب والمجتمعات تلك ليتوافق مع ماهية المفهوم الحضــاري الحديث المبني أصــلًا على أســس مادية مرتكزها الأول والأخير يكمن في الربح والكســب من طريق الإنتاج الوافر الذي يعني أو يسمى بعملية تحديث وتطوير البشرية بالاعتماد على العقل والمفهوم العلمي الحديث.(باترسون:٤١: ٢٠٠١)، وكذلك تسـخير التشـريعات والقوانين وحتى المنظومة السـياسـية لهذه الأغراض، وتكوين الأرضـية المناسـبة التي تحث على الإنتاج الوافر والكثير، وترفض كل ما يعقيها من أفكار وآراء وكذلك التشـــريعات التي تقف أمام عجلة تلك التحولات الحضارية ذاوت الصبغة المادية الصرفة.(اشبنغلر: د.ت:٧٦٣)

بحســب فهمنا المتواضــع إن الإشــكالية لا تكمن في زيادة قدرة الانتاج بقدر ما تكمن في ماهية وكيفية الافادة منها، إذ إن من المعروف أن المجتمعات الإنســانية تتميز بوجود عقليات متابينة من الأفراد قد يكون لبعضها الدراية والفهم عن كيفية الإستفادة من تلك التطورات، إلا أن الغالبية العظمى من الجماهير لا تعي ولا تفهم ذلك، إذ يمكن ملاحظة ذلك في حياتنا اليومية مع الوسائل والأدوات التى اخترعتها الحضـارة الحديثة، إذ تحول البعض منها الى أدوات أو وسائل أثرت سلبًا على الطبيعة البشرية، والإشكالية تكمن في كونها رخيصة يســتطع كل فرد أو إنســان اقتناءها والحصــول عليها وبكل ســهولة، وفي ضــوء ذلك يمكن القول ان طرح اشفيتسر كان في مكانه لاسيما مع الانفلات في عمليات اقتناء الإنسان لذلك، هذا فضلًا عن ماهية المواد التى يمكن اختراعها، إذ لو كانت ســيئة حتى الكمية القليلة منها تكون كارثة، لذلك الأولى أن يكون الإنتاج وزيادته وفقًا للدراسات العلمية وهو أمر مستبعد مع مسألة الربح والكسب المادي لاسيما مع حضارة قائمة على أسس مادية صرفة.

ثم يؤكد اشفيتسر على نقطة أخرى للمفهوم الحضاري تتلخص في أنه لابد من الاعتراف بأن الحضارات تقوم وتتطور الى حد ما من قبل ما يســمى اليوم بالقطاع الخاص من مصــالح ومنفعة الأفراد التي يرى أن بسكونها وتوقفها عن السير تصبح مهددة أمام الآخرين مما يؤدي بطيعة الحال إلى نوع من التقارب والتعاون الاظطراري فيما بين البشــر بغية الحفاظ على تلك المصــالح وإبعاد ماهية الشــر عنها، كل ذلك لا يمكن أن

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يحصل دون الوصول الى تحولات مادية كبيرة بهدف الربح المادي المنشود الذي يجعل من الإنسان ذا مكانة مادية ومن ثم روحية رفيعة قدر الأمكان، إلا أن المعضلة تكمن هنا من فرض هيمنة المصلحة الخاصة على سائر أفراد المجتمع أو بالأحرى على المصلحة العامة للشعب، لاسيما أنه لا يمكن تحديد مسار محدد مطلق وإن حدد يكون ناقصًا لدرجة كبيرة، مما يؤدى في نهاية الأمر الى أن يعمل أكثرية المجتمع لفئة أو طبقة معينة تستفيد من الإرهاق والعمل المفرط الذي تقوم بها المجتمعات الإنسانية ككل، مما يؤثر سلبًا فيهم ؛ إذ تتحول حياتهم إلى نوع من الوجود المادي فاقدين لكل أنواع القيم والمفاهيم الروحية جراء ذلك. (اشفيتسر:٢٢:١٩٨٣)

يظهر ذلك من الشعارات التي رفعتها الطبقة البورجوازية التي قادت المجتمع الحضاري الحديث عندما أشارت إلى مساوئ الطبقة الارستقراطية في حياة المجتمع ككل والمفهوم الاقتصادي بشكل خاص، إذ استغلوا تلك الأمور لتحقيق مآربهم ومكاسبهم المادية مدعين أنهم في تحولاتهم تلك يريدون بناء مجتمعات تسودها الفضيلة والعدالة وغيرها من الشعارات، إلا أن ذلك لم يتحقق على أرض الواقع، بل الذي تحقق تمثل في تحقير النزعة الجماعية للمفهوم الحضاري الذي كان المبدأ والمنطلق الرئيس في منطقهم الحضاري ذي الصبغة المادية البحتة القائمة على أساس من المنفعة وتحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح وإن كان على حساب المجتمع الإنساني وفي صالح طبقة معينة. (كميف:٢٩:٢٠١٣)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وهذا ما لا يتوافق مع حقيقة البناء الحضاري المفيد والسليم للبشرية، إذ إنه من المعروف أن العملية الحضارية الحقيقة الصحيحة إنما تكون على وفق منطق التضحية وإنكار المفهوم والمصلحة الذاتية الضيقة للإنسان، بمعنى آخر إن الذين يقودون القيام الحضاري لابد أن يقدموا أنفسهم ضحية العملية تلك بهدف تحقيق المشروع القائم على أساس المنفعة الجماعية. (السامرائي:١٢٣:٢٠٠١)، عكس ما تذهب إليه الحضارة المادية القائمة على سيادة المنطق المالي والاهتمام بالعلمية التسوقية لدرجة من التقديس، مما يؤثر في المنطق الجماعي الذي يتسم بأنه المتضرر الأكبر من جراء تلك العملية كلها. (جارودي:٦٨:٢٠٠٢-٦٩)

إلا أن النظرة الإنسانية المتحررة تحث على أن العملية الحضارية في مجملها يجب أن يكون الهدف منها تقديم معطياتها من الإنجازات البشرية من الفن والعلوم والتطورات التقنية وما شابهها من تحولات في خدمة القوى الاجتماعية. (قرم:٩٧:٢٠١١)، إلا أن الحضارة الحديثة أثبتت عكس ذلك على أرض الواقع، من أن الكثير من أبناء المجتمع الإنساني شعروا بخيبة أمل كبير عندما فشلوا في تحقيق أحلامهم في الوجود مما أدى إلى تكوين بنية اجتماعية تميزت بالكثير من الإشكالية والتعقيد في الحياة. (الكرمي:١١٤:١٩٧٨)، وتجلى ذلك في تحطيم الطبقات الاجتماعية منها على سبيل المثال الطبقة الفلاحية التي تحولت بفعل وقوة الشركات

المتخصصة في المجال الاقتصادي في عصرنا الحاضر، إذ فرضت قوة الحضارة المادية الجديدة سطوتها على ماهية الإنتاج لتلك الطبقة التي تخلت عن وجودها تحت مفهوم الأمرالواقع للقوى المادية الحديثة. (عبد الملك:٧١:١٩٨٥-٧٣)

التي تتميز بكونها ذات طبيعة طفلية مارقة هدفها تحقيق المكانة والعظمة والثراء الفاحش على حساب مكانة وقدرة وعمل الشعوب والمجتمعات الإنسانية ومعانتهم في الحياة. (حسن:١٤:٢٠١٣-١٥)، ويمكن ملاحظة ذلك من ظهور النزعات الاجتماعية المحتلفة منها على سبيل المثال النزعة التي دعت إلى مفهوم الإشتراكية للإنسان، لاسيما مع الخلل والفشل الواضح لأنظمة القوانين والتشريعات التي وضعت في كل الجوانب للحضارة الحديثة وتميزت بأنها فاقدة لروح الحق والواقع الإنساني مما ولد تلك الأفكار الداعية إلى ضرورة تغير ذلك الواقع. (تايلور:٢١:٢٠٠٩)، لاسيما أن العالم الغربي قد سادته فكرة التنمية على أساس فرض الهيمنة والهيبة لها على الآخرين تحت شعار تنمية ودمج مختلف المجتمعات الإنسانية في بوتقة العقل الحضاري الغربي الحديث، وهو الهدف الذي تعمل وفقها المنظومة الاقتصادية في عصرنا هذا تحقيقًا لمصالحهم الطبقية. (يونغ:١٠٦:٢٠١٨)

هذه النقطة فيها الكثير من الإشكالية ما بين من يؤكد دور الفرد في التكوين الحضاري وما بين من يؤيد نظرية أن القوى الاجتماعية هى من لها الدور الحاسم والحقيقي في البناء والقيام الحضاري، إذ تكون نوعا من الجدلية استمر حتى نهاية القرن الماضى عندما أكد المفكرالإنكليزي (توينبي ١٨٨٩-١٩٧٥) على أهمية دورالفرد والنخبة في التكوين الحضاري شريطة أن تساندها العقلية الاجتماعية في ذلك بعدما تمكنت الفئة الأولى من إقناعها بضرورة وأهمية تلك التغيرات والتحول الحضاري، بمعنى آخر أن قيادة سير العملية الحضارية تتوقف على الأفراد، اذ لا يمكن إنكار ذلك بالعواطف والأحاسيس غير المنطقية كما ظهر ذلك جليًّا في التحولات الغربية بدرجة كبيرة مقارنة مع التحولات التي شهدها الاتحاد السوفيتي التي اعتمدت المفهوم الاشتراكي ذا الصبغة الجماعية، إلا أن أهمية الأفراد التي ينتج عنها ما يسمى اليوم بالقطاع الخاص في الاختراعات و الابتكارات الحضارية فيها الكثير من الإشكالية ، وهذا ما أكده اشفيتسر قائلًا إنه لايمكن تحديد الحدود القانونية للحقوق والمكانة المنطقية لطموحات هؤلاء على حساب بقية أبناء المجتمع، وإن وجدت تبقى غيرعادلة وتتميز بنوع من المطاطية التي لا يمكن السيطرة عليها كما هي الحال مع الحضارة الحديثة، إلا أنه يمكن القول أن هنالك حلا جذريا وسحريا لهذه المعضلة والذي يكمن بحسب فهمنا المتواضع في العقيدة الإسلامية التي وضعت الحدود المناسبة لكل طرف من الأطراف المشاركة في التمدن والعملية الحضارية من التشريعات الاقتصادية الموجودة في الإسلام التي لا اعتقد أن اشفيتسر كان له دراية وعلم بها.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كذلك من الإشكاليات الأخرى التي طرحها اشفيتسر الإشكالية التي تتلخص في تكوين المراكز الحضرية الكبرى المتمثلة بالمدن الكبرى التي تفرض على الإنسان من معضلات تجعل من كينونته الطبيعة، لاسيما الجوانب الروحية والعلاقات الاجتماعية المعروفة بين البشر منها على سبيل المثال الأخوة والقرابة وغيرها من الأمور الحياتية التي تقع تحت تأثير تلك التطورات التي تؤثر في عقلية المجتمع ككل، مما يمهد الطريق أمام تكوين عقلية فردية واجتماعية فاقدة لكل انواع القيم والمفاهيم الإنسانية، على احتساب أن المحور الأساسي لهذا الوجود في الحياة هو الإنسان بعينه، لكنه بحسب التطورات الجارية فإن تغيرهذه العقلية الإنسانية إلى مفهوم غير إنساني بحت ما هو إلا مسألة وقت وتاريخ، هذا فضلا عن أن النشاط المعرفي للإنسان قد اقتصر على اختصاصات معينة من العلوم نظرًا لتشعبها وتعقدها في هذا العصر.(اشفيتسر:٢٤:١٩٠٨٣-٢٧)

تغيرت نظرة الإنسان إلى ذاته منذ مطلع العصر الحديث، بحيث تغير مفهومها وهويتها من حيث الوجود، وبصورة تدريجية، لاسيما مع القرنين الثامن عشر وما بعد ذلك من التاريخ الحديث، وقد تشكلت وتكونت بفعل القوة المادية التي فرضت معاريها على الإنسان من المبدأ القائل بأن كينونة الانسان تقاس بما يملكه من الثروات والمال، بل إن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد من اللاإنسانية تحت تأثير سرعة التطورات المادية المتمثلة بتوسع الأسواق المالية التي فرضت تصورًا آخر تلخص في أن الإنسان تحول إلى عبودية مطلقة من المبدأ القائل بأن الكينونة الإنسانية تتغير وفق لماهية متطلبات ومقتضيات حركة الأسواق المادية تلك، بعكس ما كانت تنادي به البشرية في الماضي وهو أن الكينونة الإنسانية تتوقف على الفكر والقيم الروحية في الحياة بمعزل عن القيم المادية.(فروم:١٦٩:٢٠٠٧-١٧٠)

إذ وصلت حدود تلك التغيرات اللاإنسانية الى مستويات خطيرة أطلق عليها البعض بنوع من الوحشية التي اتخذت طابع العبودية والفناء والإبادة المعمة بشكل كبير، لاسيما أن التحولات المادية قد غيرت الطبيعة والنفس البشرية وجعلتها خاضعة لمفاهيم لأقصى الدرجات.(موران:٣٧:٢٠٠٩)، مما أثر سلبًا وبدرجة كبيرة على ماهية السعادة الحقيقة للإنسان وصحتها، لاسيما عندما يتجرد المجتمع من العواطف والحب والحميمة في ما بين افرادها لتصل الى مستويات قياسية لايمكن تقبلها وتحملها في الحياة.(كاسرز:١٥٧:٢٠١٧)، التي يمكن ملاحظتها في الأسس والقواعد الاجتماعية التي تميزت بوجود الكثير من الإشكاليات والآثار النفسية غير الصالحة والمدمرة للإنسان منها على سبيل المثال ظاهرة القهر والاستغلال ضمن نطاق المجتمع والمدن المتحضرة.(باترسون:١١٢:٢٠٠١)

لاسيما أن الحضارة الأوربية تشكلت فيها عقلية مفادها أن الإنسانية وما يمت لها بصلة إنما تكمن في التوسع نحو العالم المجهول الذي يرضخ لهم من طريق الوعي والإدراك القائم على مفهوم القوة .(ديلماس، د.ت،ص١٨٨)، إذ ولدت من رحم هذه الحضارة التي أرهقت الانسان لدرجة كبيرة الكثير من الأفكار التي تميزت ببربريتها ووحشيتها كما أشار البعض إلى أن تلك النظريات إنما ولدت داخل المدن المتحضرة والمتطورة من الناحية الثقافية كما كان الحال مع النازية والفاشية والستالينية وغيرها من الأفكار غيرالإنسانية.(موران:٤٨:٢٠٠٧)، تكمن الإشكالية في أن أحد الجوانب الإنسانية وهو قوة الإدراك هي من أخذت الاهتمام الأكبر على حساب الجوانب الأخرى من الحياة ومن الطبيعي أن تتجه الأمور إلى ما آلت إليه.(الحفار:١٨٧:١٩٨٣)

فيما يتعلق الأمر بماهية العلوم والتعقيدات التي رافقتها، يشير البعض إلى أن أهم ميزة تباهت بها الحضارة الحديثة تمثلت في العلم والعلماء المبدعين بوصفها أحد أهم الركائز لها وخير ما يمثلها، إلا أن ذلك تسبب في توجيه ماهية العلوم نحو التخصص والتفرع لدرجة أن الشخص العالم أصبح ذا قدرة علمية مقتصرة على جانب معين من الحياة. (زكريا:١٠٨:٢٠١٨)، مهما تحدثنا عن هذه النقطة نصل في نهاية الأمر إلى القول أن الطبيعة البشرية تقتضي الوسطية والتوازن في أمور الحياة كلها، وهي الطريقة الصحيحة التي تأتي بالسعادة والرفاهية المنشودة للإنسان، اما إذا خرج الانسان عن نطاق هذا المفهوم من الوسطية سواء بالتفريط أوالإفراط فإن ذلك حتمًا يجلب الكوارث والأزمات على نفسه، منها ما يخص الجانب العلمي التي تميز بكونه مفيدا للإنسان ضمن نطاق معين محدود فقط، وإن خرج عن ذلك النطاق يكون ضارًا وغير مفيد والحال نفسه مع الأمور الأخرى من الحياة.

ثم يأتي اشفيتسر إلى نقطة أخرى تتمثل في أن تركيز واهتمام الإنسان بالمظاهر والأشكال الخارجية يأخذ القيمة والأولوية في حياته دون الأخذ بمبدأ الجوهر الروحاني، إذ إنه بمرورالزمن يتطور ذلك ليصل إلى درجة يكون الإنسان فيها مجردًا من ماهيته الروحية، فبدل أن يكون للقيم الروحية ذات الطابع الجوهري للإنسان الأثر في المظاهر الخارجية، تعكس العملية ويكون للمفهوم الثاني الأثر البالغ في تكوين ماهية القيم الروحية، وهي المعضلة التي قال عنها اشفيتسر متسائلا هل هنالك مشقة وكارثة أكبر من هذا؟ مبينًا آراءَه هذه على أساس أن استيراد الإنسان لكينونته الروحية ليس بالأمر الهين على النفوس والطبائع، نظرًا لكون تلك الإشكالات من داخل ذاتية الإنسان نفسه والانسان يحتاج إلى الكثير من الجهد لإزالتها، لاسيما أن إنسان العصور الوسطى يتطلب الكثير من العمل والجهد بغية تحقيق الخلاص من الأنظمة الفاسدة، فما بالك إن كانت الإشكالية في جوهر الطابع الإنسان كما هو الحال مع الإنسان المعاصر التي تشكل وفق المنظومة الحضارية الحديثة التي جردته من كل تفكير حر ومنطقي من أن الخير والشر يحددهما الأمر الواقع وإن

كانت ضميرة تشعر بعكس ذلك، في حين كانت المعضلة الإنسانية في العصور الوسطى وما قبلها تتمثل بالأمور والعوامل الخارجية لذاتية الإنسان .(اشفيتسر:٢٨:١٩٨٣-٣٢)

من ثمَّ لا يمكن معالجة الأزمات تلك في الحضارة الحديثة من دون أن يعمل الإنسان على تجاوزها من حيث العقلية التي بنيت عليها المؤسسات الفكرية والأطر التي تشكلت وفقها المفاهيم، لكونها أساس الشر والمظالم التي لحقت بالإنسان المعاصر من اللامساواة وغيرها، والتي لا يمكن إصلاحها دون الرجوع إلى القيم الكامنة الخفية التي لها القدرة على معالجة الأوضاع تلك من خلال تكوين أسس اجتماعية جديدة، إذ لن تتحقق بدون ذلك ماهية الإصلاح، لاسيما أنه لو أخذنا الإشكاليات تلك بوصفها مظاهر خارجية. (مصطفى:٥٠:٢٠١٥)؛ لأنه وفق العقلية الحضارية الحديثة المبنية على احتكار حياة الشعوب، ترى أن تلك التغيرات الاجتماعية كانت بمثابة مرتكزات أساسية لها تعمل على ديمومتها، دون الاعتراف بأنها كانت السبب في تحطيم وتفكيك القيم الروحية للإنسان.(بيرمان:٨٢:٢٠١٠). الذي بطبيعته يحاول تحقيق أكبر قدر ممكن من التطورات الحضارية والتي يمكن ملاحظتها في التقدم التكنولوجي له بغية السيطرة والتحكم بالطبيعة والمحيط الذي يعيش فيه، فخرجت الأمور عن السيطرة وتحكمت الطبيعة بالإنسان وعكست الأمر مما أثر بشكل كبير على ماهية ومكانة القيم الروحية لديه.(زكريا:١٨٧:٢٠١٠)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

هذه كانت إحدى السمات التي تميزت بها الحضارة الحديثة عن الحضارات الأخرى، إذ إنها كلما تطورت وتقدمت نحو الأمام ابتعدت عن القيم والمفاهيم الروحية والدينية، من الاعتماد على المنطق العقلاني (.بردويل:١٩:١٩٩٩)، الذي لا يستطيع مهما ادعوا ذلك تكوين وحدة متجانسة من البشر من دون الاعتماد على القيم والمفاهيم الروحية، نظرًا لكونها مبعثرة متشتة وغير مفهومة وغير قابلة للتطبيق على الأمر الواقع، والتي هي في الغالب إحدى أهم سمات التحلل والتفكك الحضاري، إذ لا يمكن لأية حضارة إنسانية أن تنهار إلا من ذاتيتها الداخلية. (الحوراني:١٣٩٠ه: ٥٩.)، يمكن احتساب هذه النقطة من الأسس التي قامت عليها الحضارة الحديثة، إذ أصبح كل شيء مجرد مظاهر وجماليات سطحية في حياة الإنسان سواء تمثلت بالجوانب السياسية أو الاقتصادية وكذلك الأسس الاجتماعية وحتى التركيبة الفنية والثقافية وما يليها من أمور مثل حقوق الإنسان وحق المرأة وحق الشباب وغيرها من الأفكار التي أصبحت شعارات وكتابات على الورق أو على الجدران، فيما يخص مسألة الأخلاق والقيم الخلقية فهي تحولت إلى شيء من الماضي البعيد كان مصدرها الجهل الإنساني الذي اخترع هذه الأشياء في حياته نتيجة لضعفه وعجزه عن إدارة الحياة، إجمالًا يمكن القول إن المظاهر الخارجية أي الماديات على وجه العموم هي الأساس في تحديد الخير والشر أو الصواب والخطأ منها على سبيل المثال أن الشجاعة تعني أن تكون قاتلا ومجرمًا كما هو الحال في زماننا هذا، وكذلك العاقل أن تكون غنيا بالمال والثروة والجاهل أن تكون فقيرًا، وأتنمى أن نكون مخطئين في

تصـوراتنا هذه، الآن الواقع كما أشـرنا إليه يحتوي على الكثير من المظاهر والأمور السـطحية لدى إنسـان عصرنا لا يمكن تعدادها .

المبحث الثاني:- أهم المرتكزات لماهية مفهوم الحضارة في طروحات اشفيتسرالفكرية.

عند الحديث عن أهم الاسس والمرتكزات الحضارية عند اشفيتسر يكمن في أنه في بادئ الأمر يشير إلى أن الهدف من القيام الحضـــاري إنما يتمثل في رفاهية وســـعادة الإنســـان التي لطالما جاهد من أجلها بغية الوصـول إلى المنفعة الذاتية ومنفعة جميع أفراد المجتمع بصـورة سـوية، بالوصـول إلى قيمة المفاهيم والقيم الروحية الأخلاقية التي هي الحضارة بعينها والغاية التي يعمل الإنسان من أجلها.(اشفيتسر: ٣٤:١٩٨٣-٣٥)

عند دراسة مفهوم الحضارة على وفق المنظور العلمي الأكاديمي بعيدًا عن أية حسابات فكرية فإنها تعني في المجمل الجهد والملك الجماعي للبشرية من اكتساب أحسن وأفضل ما قدمته الإنسانية من علوم وتقنيات وتطورات مختلفة من الفنون والثقافة، هذا فضـــلًا عن ذروة وقمة مفهوم القيم الأخلاقية لجميع أفراد المجتمع الإنساني. (قرم:٩٧:٢٠١١)، بمعنى آخر يمكن القول إن الحضارة تعني المكتسبات التي حققها الإنسان في حياته في مسـيرته في الوجود والتي تتلخص في السـلوك والأنماط المختلفة من الحياة التي يمكن تفسـيرها بنوعين من الظواهر أحدهما نفسـي يشـمل الكينونة الذاتية للإنسـان التي تشـمل القيم الاخلاقية وهي من أهم أسسها، والثاني يتمثل في العوامل والظواهر المادية.(لنتون:٠:١٩٦٤-٦١)

وهي التعريف الصـــحيح والعلمي لهذا المفهوم الذي يحوي في طياته حياة البشـــر كلها، إذ لا يمكن لأي مصـــطلح أن يكون أكثر شـــمولية منه، إذ يتضـــمن كلًّا من المفاهيم والتطورات المادية من التكنولوجيا والتقنيات وغيرها من الأســـس، كذلك يحتوي على الأســـس والأفكار الروحانية من القيم الأخلاقية والأنظمة والمؤسسات السياسية والاجتماعية والعقائد الدينية والأسس العلمية، وهي المفهوم الحضاري بعينه دون ذلك يمكن أن نسميه بالتحول والتطور الاجتماعي للإنسان، لاسيما إن اقتصرت التطورات على جانب معين من الحياة. (توفلر،٣٠:١٩٩٦-٣١). إذ يمكن القول إن هذا المفهوم ظهر بصـــورة واضـــحة مع التطورات التي صـــاحبت القدرة الحضـــارية للمجتمع الأوربي من المبدأ القائم على أســـاس ماهية وكيفية ارتباط المجتمعات الإنسانية فيما بينهم ،لاسيما بعد التحولات المادية الكبيرة التي رافقت هذه الحضارة التي أثرت بشكل سلبي في هذا المفهوم مما أخذ جانبا وقدرا كبيرا من الأهمية في تكوين تعريف محدد لها.(مازليش:٣٤:٢٠١٤)، نرى من ذلك أن التطورات المادية فرضت عليهم ضرورة إيجاد تعريف شامل وكامل لماهية الحضارة لاسيما من قبل المفكرين والفلاسفة بغية أن ينعم الإنسان من معطاياتها ومكتسباتها، من دون أن تلحق الضرر بالمجتمعات الانسانية وتجلب عليها الكوارث بشكل عام.

يستمر اشفيتسر في طروحاته فيؤكد أن هذا مفهوم أي الحضارة مزدوجة المعيار والطبيعة من مبدئين أساسين أحدهما يكمن في سيادة القوة والقدرة العقلية بغية توظيفها للحياة، أما الثاني فيشمل التحكم الانساني بنوازعه واهوائه، ثم يذكر اشفيتسر ويتساءَل أيهما يأتي في المقدمة بوصفه الأساس والمؤثر لإنجاح العلمية الحضارية، فيشير إلى أن الثاني هو الأساس، نظرًا لكون الشرط الأول إن كان ضروريًا له فأنه يكون ذا رأسين قد يذهب بالإنسان إلى قمة المجد الإنساني أو قد تهوي به في أحضان المفهوم الوحشي البربري لها، بالرغم من أن ذلك لا يعني بأي شكل من الأشكال إبعادها عن سير العجلة الحضارية كمبدأ أساسي لها، أما الشرط الثاني فهو يعني في مجمله تعميم القيم والمفاهيم على كافة أفراد المجتمع بغية جعلها قدوة في الحياة بوصفها جوهر وعمق القوة المدنية التحضرية للإنسان. (اشفيتسر:٣٥:١٩٨٣- ٣٦)

فيما يتعلق الأمربالشرط والركيزة الأولى المتمثلة بالتطورات المادية الذي تحدثت عنها اشفيتسر، يمكن القول إن لها بعض المميزات وخير للإنسانية لا يمكن إنكارها، مع ذلك عند النظر والتمحيص البسيط يظهر لنا مدى الآثار السلبية لها مقارنة مع المعطيات والإنجازات الإيجابية التي تشكلت وفقًا لتحولاتها والنتائج التي تمخضت عنها.(غينون:٢٠١٩: ١٢١)، إذ يشير البعض إلى أن التحولات المادية في الحضارة الغربية الحديثة كانت متمثلة بالشر على البشرية والتي تجلت في التطورات العسكرية لحد الوصول إلى مفهوم الذرى والأسلحة الفتاكة الأخرى التي انتجتها في عالمنا اليوم. (زكريا:١٥٨:٢٠١٨)، إذ بدل ان تعمل البشرية على إبعاد مفهوم الشر والدمار عنها، اثبت في عصرنا هذا نظرًا للتطورات المادية التي اثرت بشكل كبيرفي النفس الإنسانية إلى ظهور نوع من الأعراض تتسم بوجود أعراض روحية ذات طابع اجتماعي جراء ذلك، وهي في حقيقة الأمر نذير شؤم خطير على وجودنا في الزمن المعاصر.(توينبي:٢١٨:٢٠٠٦)

فيما يخص الشرط الثاني يعتقد البعض أن الحاجة الماسة إلى الأخلاق وماهيتها ضرورية ليس للحضارة فحسب وإنما للوجود بغرض تميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى لاسيما الحيوانية منها، إذ تفيد الانسان في مسيرته ليس من باب أهمية التحولات والتطورات الانسانية بغية الافادة منها، بل الأكثر من ذلك يكمن في ماهية الوسائل والآلات المشروعة لتحقيق ذلك الأمر.(رسل: د.ت: ١١)، ذلك أن أهمية القيم الأخلاقية إنما تظهر من تحديد الغايات القصوى بعدما يتهيَأ الفرد نفسيا بالاختيار ما بين الرغبات والمصالح الحقيقة لها ثم توظيف الوسائل والأدوات المشروعة للقيام الحضاري، إذ دون ذلك تكون مجرد تطورات يتحول فيها الإنسان إلى مجرد كينونة مادية لا أكثر.(السامرائي:١٢٢:٢٠٠١)، بحيث إن القيم الأخلاقية لا تدفع الإنسان نحو القيام الحضاري بقدر ما تجعله منضبطًا ومتزنًا في حركته هذه، وهي السمة البارزة التي تتوفرعنده بمعزل عن أية مفاهيم أخرى للإنسان في هذا الوجود. (غروسي وستانسيو:٨٤:١٩٨٩)، هذا ما تؤكده الكثير من الدراسات الحديثة وهو أن الحضارة هي صفة ومعيار مهم للإنسان بالتحرر الذاتي الذي يتصف بكونه

متدرجًا، من أهم سماته الفن واللغة والدين والعلم وغيرها من الوسائل والإمكانات التي بها يتمكن الإنسان من تكوين قدرات فائقة يستطيع من طريقها اكتشاف ما حوله بغية التطورالتحول الحضاري في عالمه. (كاسيرز:٣٧٩:١٩٦١)

التدرج يعني أنها تأخذ مرحلة زمنية معينة يتمكن فيها من الوصول إلى قمة مفاهيمها الروحية، إذ إن التطور والتحول الحقيقي إنما يكون وفق إطار زمني معين دون الطفرات التي تظهر عند الكثير من المجتمعات وتدعي أنها في طور حضاري، في الحقيقة ما هي إلا تزيف للواقع وذلك المفهوم.

نقطة أخرى يطرحها اشفيتسر تكمن في أن الحضارة وما يصاحبها من تحولات وتطورات إنما تكون ذات منطق شمولي، بطريقة تشمل جوانب الحياة من الفنون والعمارة والإدارة والإقتصاد من الصناعة والتجارة وغيرها من الأسس والمنجزات الدالة عليها، إذ كان الفضل للقيم الروحية التي شجعت الإنسان ودفعته نحو ذلك بغية تكوين صورة أجمل للحياة والكون، في المقابل تميزت الحضارة بالضعف والوهن جراء القيم المادية بدرجة أولى وإن كان للقيم الروحية نصيب في ذلك، كما كان الحال مع الحضارات الإنسانية المختلفة من اليونانية والهندية والصينية واليهودية وغيرها من الحضارت التي لطالما تميزت بسطوة القيم الروحية على المفاهيم المادية في بادئ الأمر على أقل تقدير.(اشفيتسر:٣٧:١٩٨٣)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المعلوم أن ماهية الأخلاق هي في حقيقة الأمر مفهوم ذو أبعاد نظرية للإنسان من المبدأ القائم على أساس أنه مرتبط بالحركة والنشاط البشري أو بمعنى آخر أنها دائبة الاتصال بالقول والعمل التي هي سمات ومظاهر إنسانية أساسية في الحياة، ومن ثم أسهمت في تكوين مذاهب ونظريات أخلاقية كان الدين والميتافيزقيا العمود الفقري لها. (هابرماس:٢٠١٢: ٢٣٩)، وهذا مايؤكده توينبي في أفكاره قائلًا إنه عند دراسة الحضارات من تحليل التطورات المادية يتبين أنه كانت هنالك الكثير من الحضارت بالرغم من تحولاتها المادية الكبيرة إلا أنها تميزت بالسكون والانحدار في الحركة الحضارية، بينما في المقابل وجدت حضارات تسير بعجلتها نحو الأمام أو إلى الخلف في حين كانت مقوماتها المادية متوقفة عن الإنتاج والإبداع.(توينبي:٢٠١١: ٤٢٨)

أو بمعنى آخر أنها وجدت الكثير من الأمم والشعوب الإنسانية كانت في أطوار بدائية من المفهوم الحضاري بينما كانت تتمع بدرجة كبيرة من التمدن والتحضرالإنساني عكس الكثير من المجتمعات التي تميزت بتفوق كبير في المجال والميدان المادي بأشواط ومسافات كبيرة في حين تميزت بقلة المدنية والحضارة رغم وفرة الكماليات والإنجازات المادية الهائلة التي منحتها للإنسان. (مونيس:١٩٧٨: ٥٠.) إذ تكمن الأهمية للقيم الروحية عند الإنسان في عطاء وميزة لا تقدر بثمن من القوة للحركة الإنسانية تتمثل في

ماهية مفهوم تعزيز التعاون والعمل المشترك الذي تمنحه الكلمة الواحدة في يسير الأحداث الحضارية عكس ما ينتج عنه المفاهيم المادية من تنافس وصراع إنساني.(غروسي وستانسيو:١٩٨٩:٨٦)

يستمر اشفيتسر في طروحاته، إذ يؤكد أنه عندما تبتعد وتتخلى المجتمعات الحضارية عن ماهية القيم الأخلاقية، فإن النتائج والمعطيات الناجمة عن ذلك معروفة من أنه بدل أن تؤثر القيم الروحية ككل في تكوين الصورة الواقعية للحياة والإنسان، تكون العملية عكسية من تأثير الواقع الإنساني عليها مما يمهد لتكوين قيم أخلاقية وفق لمتطلباتها، مما يجعل النفس والأهواء البشرية المميزة على قدر كبير من الأنانية يفتح الطريق أمامها للحركة والصيرورة الحضارية حينذاك يكون المشهد والصورة هي الذهاب بالإنسانية نحو أدنى مراتب الحياة.(اشفيتسر،١٩٨٣:٣٨-٣٩)

تكمن الإشكالية في قدرة وقوة ماهية الأسس والمرتكزات التي قام عليها المفهوم الأخلاقي ككل ومدى تأثيره في حث الإنسان على الإلتزام بها، منها المبادئ الأخلاقية ذوات الصبغة الدينية التي لها أثر كبير في ذاتية النفوس البشرية، من كبح الملذات والأهواء والفطرة البشرية ككل، لاسيما ما يتميز كون بعضها ذا طبيعة وحشية لها. (هازار:١٩٤٨:٢٩٣)، هذا مع الأخذ بعين الحسبان أن الطبيعة البشرية تتميز بأزدواجية الأغراض والأهداف في الحياة، وهذا ما يفرض عليها ضرورة وجود القيم الأخلاقية لها ، التي تتوافق مع طبيعة الغرض الذي تعمل من أجلها، سواء تمثلت الأغراض بكونها ذات أسس دينية إلهية أو ذات طبيعة قائمة على الأساس الأهواء والنفس الإنسانية. (ستيس:١٩٩٨: ١٢٨). بمعنى أخر لا يمكن تحرك الإنسان نحو المجد الحضاري من دون وجود القيم الأخلاقية، وإن كانت تلك القيم محدودة التأثير وإلزام البشرية بها وتطبيقها على أرض الواقع، مع الاخذ بعين الحسبان الفرق بين القيم الحقيقية والمزيفة إن جاز القول.

يشير ويعتقد البعض أن انفصال القيم الروحية والأخلاقية عن حضارة ما لا يعني بالضرورة تراجعها وتدهورها، على العكس قد تصل إلى أعلى مراتب الحياة الحضارية، لاسيما من خلال المعطيات والإنجازات المادية للبشرية من خلال تفعيل قوة المصالح والمغريات والدوافع الإنسانية ذات الصبغة المادية. (الجندية:٢٠١١:٤٩-٥٠)، وهنا تكمن الإشكالية فكلما تطورت الحضارة وكانت ذات إنجازات مادية ضخمة بمعزل عن القيم الروحية الحقيقية كلما كان مصيرها إلى الهاوية أكبر كما قال عنها اشفيتسر، والحضارة الغربية الحديثة خير مثال على ذلك.

يمكن ملاحظة ذلك في أن القيم الروحية والأخلاقية للحضارة المادية في عصرنا الحاضر تتميز بالكثير من النقاط والأسس الضعيفة والخاطئة، تكمن الإشكالية فيها إنها صيغت وفقًا للأهواء الانسانية من الأفراد التي اعتبرت بمثابة الخير الاسمي بمعزل عن دراسة الطبيعة البشرية ككل وغياب الأسس المنطقية لها من

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

خلال المبدأ القائم على أســـاس الاســـتقلال الأخلاقي. (فوكوياما:٢٠٠٦: ١٥)، يمكن ملاحظة هذه الطرح لاشفيتسر في الحضـارة الغربية الحديثة بكل وضـوح كما أشرنا إليه من قبل إذ اعتبرت الدوافع الانسـانية هي الأســـاس وصـــيغت لها قيم أخلاقية عجيبة وغير مبررة على الإطلاق المرتكز الأول والأخير في القيام الحضاري، ومن غير المعروف إلى أين مصيرنا المجهول، إذ وصل تحقير الإنسان الى مستويات قياسية لم تعرفها البشرية منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، المشكلة تكمن في أنها تحت شعار الإنسانية نفسها.

ومن ثم يأتي اشـفيتسـر إلى طرح إشـكالية أخرى تكمن في أن المجتمعات الإنسـانية عندما تصـل إلى مسـتويات حضـارية كما هو الحال مع الحضـارة الغربية، فأنها تحاول عزل المجتمعات الحديثة عن ماضـيها وما رافقه من إنجازات روحية وأخلاقية، إلا إذا كان ذلك يفيد توجهاتها ومبادئها والخطط المرســـومة لها في التحول الحضـــاري للحياة، بمعنى آخر أن الحضـــارة الحديثة تعيش مع الماضـــي البشـــري بنوع من الكذب والخداع، وهذا ما يجعل الإنسان المعاصر حائرًا بين ماض غير مرغوب به وحاضر مجهول وغير مدروس ومخطط، من ثم فإن عملية التحول والتطور الحضـــاري بصـــورة طبيعية لا يمكن تحقيقه عند المجتمعات الإنسانية لكونها عملية مستحيلة وغير قابلة للتحقيق في الواقع البشري.(اشفيتسر:٤٣:١٩٨٣)

نظرًا لكون المفهوم الحضاري ذا جذور ممتدة إلى أعماق التاريخ البشري من العقائد والطقوس والمشاعر والأحاسيس الإنسانية التي كان لها الفضل الكبير في المجهود الحضاري، إذ لايمكن فصل الماضي الإنساني عن حاضـــره الوجودي، إذ لو تم ذلك لانهـار المجتمع وأصـــبح في بوتقـة الأمم والمجتمعـات الأخرى. (الندوي:٢٧:١٤٠٢)، مما أدى بطبيعة الحال إلى خلق نوع من الأزمات الحضـــارية تمثلت في ماهية مفهوم اللامنتمي ضـد الأفكار والمؤسـسـات الدينية للماضـي البشـري التي شـكلت من مجموعات تميزت بالعصـيان والتمرد. (ويلسون:٣٩٧:١٩٨٢)، وهذا ما جعل المستقبل البشري خلال العصر المعاصر في خطر حقيقي داهم تجلى في الحروب المدمرة التي حدثت والتي جاءت بمفاهيم جديدة ســـاهمت في الطمس الكلي للإنســـان وماهيته في الوجود.(فروم:٢٣:٢٠١٣)

لاسـيما أن إنسـان القرن العشـرين قد تميز بنوع من التناقض والازدواجية في الحياة، إذ بالغ في تكوين قدرات حضارية مفرطة ومدمرة لوجوده، وفي الوقت نفسها أفرط في الضعف والعجز من كيونته بغية التكيف والانسجام في طريقة عيشه مما جعل الإنسان المعاصر ذا مصير مجهول وتحت رحمة وطيش الأفكار العلمية الحديثة التي تتسم بنوع من القسوة والطيش المفرط. (كان واخرون:٢٣٣:١٩٨٢). يمكن القول أن اشفيتسر قد شـــرح هذه النقطة على أكمل وجه، إذ الإنســـان المادي دائمًا ما يحاول طمس كل ما هو أخلاقي وروحي باعتبارها أمورًا بالية تعود للماضـــي البشـــري، بحيث أصـــبح ما هو قديم لا يتماشـــى مع الواقع الجديد الذي

يتطلب قيم ومفاهيم عصرية تنبع من الحاضر المبني على أسس منطقية وعقلية مفيدة، مع أنهم يعتمدون على ما هو أقدم من القديم في تصوراتهم إذا ما وافق أفكارهم وعقائدهم الجديدة.

ومفهوم آخر يطرحه اشفيتسر في دراسته للحضارات يكمن في تحويل هذا المفهوم من مدلول شامل للمعطيات والإنجازات البشرية إلى تعريف ومغزى ضيق الأفق بحيث اقتصر على مفهوم القومية ومنطقها التي ظلت صامدة بعدما تداعى المفهوم الحضاري بمدلوله العلمي الصحيح في العصر الحديث، حيث حلت القومية مكانة الحضارة وتحوي في طياتها الكثير من القيم والخبرات والإنجازات الروحية والأخلاقية للإنسان المعاصر، إلا أن الواقع أثبت عكس ذلك من خلال أن فكرة القومية كانت مجردة تمامًا من أية قيم ومفاهيم أخلاقية، وإنما بنيت على أسس من الغرائز والأهواء الإنسانية، الهدف منها ديمومة المفهوم الحضاري ولو بنوع من الزيف والخداع للإنسانية.(اشفيتسر:٤٤:١٩٨٣)

يمكن ملاحظة ذلك بصورة واضحة من خلال العلامات التي اظهرت الكثير من الضعف والعجز في قلب وماهية جوهر الحضارة الأوربية الحديثة، لاسيما مع بدايات القرن العشرين والحروب القومية التي اندلعت، منها الحربين العالميتين،والتي فرضت ضرورة إجراء الإصلاحات الحقيقية لها.(ليكرك،٢٠٠٤،ص٣٧)، لاسيما أن هذه الحضارة الحديثة قد قامت على أسس غير متينة من الأفكار والأيدولوجيات ذات الطبيعة الإنسانية كما ادعوها، منها فكرة العلمانية ذو صبغة قومية التي كانت الأساس في مراحلها اللاحقة من وحدتها وتكوينها، إلا أن ذلك لم يفدها كثيرًا لكونها أفكار سطحية ليس لها جذور وأسس قوية مما ترتبت ضرورة تلك الإصلاحات وفق القيم والمفاهيم الروحية والأخلاقية. (دوسن: ١٩٦٧:٣٧٢)

وقد تجلت فكرة القومية التي قامت عليها الحضارة المادية الحديثة من خلال النزعة العنصرية ومفهوم الإمبريالية العالمية، والتي تشكلت منذ عصر النهضة ومارافقه من تغيرات طوال القرون اللاحقة لتصبح المفهوم السائد والنموذج والتفسير العلمي الوحيد للمجتمع الأوربي والحضارة الحديثة منذ منتصف القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا.(المسيري،٢٠٠٢: ١٩٧)، هذا التفسير كان مرفوضًا عند الأجيال السابقة في أوربا على اعتبار أن المفهوم القومي للتاريخ لا يمكن للإنسان فهمه وفهم معالمه الزمانية المكانية، وهذا ما ميز أسلاف المجتمعات الأوربية عن عصرنا هذا.(توينبي:٢٠٠٦:٢٠٧)

عند الحديث عن هذه النقطة يمكن القول أن الحضارة المادية لا يمكن أن تتطور وتأتي بإنجازات حضارية ذات الصبغة المادية دون إبعاد وتحطيم القيم الروحية والأخلاقية ذات الصبغة الدينية، بالتالي جعلت أصحاب هذه الحضارة بين مفترق طرق، إما البقاء ضمن دائرة حضارية محدودة أو التقدم والتحول نحو الأمام

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

والوصـــول إلى القمة والمجد الحضـــاري، ويظهر أنهم اختاروا الأمر الثاني والذي كان على حســـاب القيم الإنســـانية وبعيدًا عن روح الأديان والعقائد الدينية التي تم إبعادها في الحياة الإنســـانية مما فرض عليهم بديل تلخص في ماهية القومية والأسـس التي كانت أقل ما يمكن الاعتماد عليها للمفهوم الحضـاري وإن كانت ذات نزعة إنسانية ضيقة وتسببت في الكثير من الحروب والدمار للعالم ككل ولأوربا على وجه الخصوص، إذ إن الحروب والخصـــومات القومية أكثر من الحروب الخصـــومات الدينية بمرات، كما تجلى خطر الفكر القومي في ظهور النازية والفاشـية والعنصـرية بشـكل عام، إجمالًا يمكن القول أن الهدف من ذلك يتلخص في تغطية الفشل الذي انبثق من القيام الحضاري دون القيم والمفاهيم الأخلاقية بشكل عام.

وفي السياق نفسه حاول اشفيتسر أن يشرح طبيعة العلمية السياسية للحضارة المتهالكة أصلًا وتحت غطاء الثوب القومي، الذي حاول قدر الإمكان أن يلبس ثوب المثالية والإنســـانية من خلال تحويل مفهوم الســـيطرة والاستعلاء على الآخرين إلى نوع من المدنية والتحضر البشري، لاسيما التحالفات ما بين الأمم والمجتمعات المتابينة والمتخاصمة أصلًا تحت شعار الأخوة والقيم الإنسانية، مستفيدة من إرث القرون الماضية التي كانت تجمعهم، رغم أن التاريخ يثبت عكس ذلك من خلال الصـــراعات الدموية فيما بينهم أكثرمن القيم والمفاهيم الروحية والأخلاقية.(اشفيتسر:٤٦:١٩٨٣)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وكان ذلك من الأمور الطبيعة عند كل الحضارات الإنسانية التي قامت على عاتق القلة المبدعة من العلماء والمفكرين الذين يظهرون خلال فترة زمنية معينة يقودون فيها الإنسـانية نحو السـياق الحضـاري، مما يفسـح المجال أمام القادة والسياسين الذين يقودون تلك المجتمعات الحضارية لتحقيق أطماعهم الخاصة، حيث تتجلى في السـيطرة والتحكم بالشـعوب والمجتمعات الأخرى عن طريق توظيف ماهية الشـر، لاسـيما عن طريق إشـــعال وخلق الحروب والفتن. (النشـــار:٥٧:٢٠٠٤)، بمعنى آخر إن منطق الحضـــارة الغربية الحديثة والمجتمعات التي كانت منظوية تحت لوائها لم تســطع تفضــيل الأفكار والقيم العلمية القيمة من خلال الأدباء والشعراء والمفكرين على الأفكار الهدامة التي كانت تدعو إلى الشر وخلق الكوارث، باختصار لم تستطع هذه الحضارة احتواء بربريتها والتضيق عليها رغم تميزها بقدر كبير من الثقافة.(موران:٤٨:٢٠٠٧)

إذ ولدت داخل رحم هذه الحضارة وجهات نظر سيئة تمثلت في مفهوم الإبادة والتخلص من الآخر لكونهم عناصـــر وكينونة غير مرغوبة بها عند المجتمعات الأوربية، عكس ما ادعاه البعض أن تلك كانت مســـائل عرضـية شـخصـية لا يمكن تعميمها على المجمتع الأوربي ككل. (المسـيري:١٩٧:٢٠٠٢)،إلا أن الحروب العالمية الكبرى قد اثبتت أن هنـالك الكثير من الخلل والنقص اللذين تميز بهمـا المجتمع الأوربي الحديث صـــاحب الحضـــارة الغربية التي تحترم حتى القوانين والقيم التي تشـــكلت وفق منطقها وكانت من إنجازاتها

الروحية. (تايلور:٢٠٠٩:٢١)، إذ تميز مسارها بأنه متجه نحو المفهوم المادي الأحادي ذو الطبيعة الإنتاجية حصرًا، بعيدًا عن أية انشطة أو مسار يكون للمفاهيم الفنية أوالفكرية أية مكانة أو قيمة تذكر.(فاتيمو:٢٠١٤: ٥٠)، بل على العكس من ذلك ظهر نوع من الأفكار السياسية القائمة على أساس مبدأ العبودية والإبادة الخفية المعممة، بل أكثر من ذلك محاولة هولاء في التحكم والسيطرة على ماهية العقل والنفس البشرية وتغير طبيعتها.(موران:٢٠٠٩:٣٧) ،كذلك يمكن كشف كذب هذه الحضارة من خلال أنه حتى أهل الفكرالذين ادعوا أنهم تقدميون، لم يستنكروا ما قامت به هذه الحضارة من تدمير الشعوب والمجتمعات الإنسانية حول العالم، لاسيما ما شهده الهنود الحمر في الأمريكيتين.(مؤنيس:١٩٧٨:٢٦١)

إن الإدعاء بحقوق الإنسان كان أحد المفاهيم الكاذبة لهذه الحضارة التي كما قال عنها اشفيتسر إنها لبس الثوب الكاذب المخادع من المثالية غير الواقعية، وقد ترجم ذلك في أرض الواقع من خلال أقوالهم أو أعمالهم فقد ظهر المفهوم في عالمنا المعاصر إذ تمثل في الكيل بمكيالين والذي كان عبارة عن تعريف منطقي ودقيق للسياسية الأوربية الحديثة التي فسرت الكثير من الحروب والصراعات العالمية على ضوء ذلك المفهوم، فإن كانت في صالحها أوجدت لها تفسيرًا معينًا، في حين إذا كانت مضرة بمصالحها فسرتها على نحو مخالف وإن كان الحدث على النمط والشكل نفسه.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وفي نهاية المطاف يذكر اشفيتسر إن الحضارة المادية قد فرضت منطقها على القيم الروحية والأخلاقية لدرجة أن النفس البشرية تشعر بنوع من الخوف والقلق وتزداد بشكل مطرد يومًا بعد يوم، إذ يمكن القول أن القيم الأخلاقية قد أصبغت بالمفاهيم المادية للمجتمعات الإنسانية ونمت وفقًا لطروحاتها، بغية ضمان احتياجاتها الإقتصادية وشرعنة عمليتها السياسية، لاسيما على حساب الشعوب والمجتمعات الإنسانية الأخرى، إذ تحولت مفاهيم هذه الحضارة إلى مجرد أدوات ووسائل إعلامية هدفها صرف المنتجات المادية.(اشفيتسر:١٩٨٣:٤٨)

تجلى ذلك في ظهور نظريات للمفاهيم الأخلاقية خلال العصر الحديث، سميت فيما بعد (بالأخلاق النسبية)، مصدرها أن تلك القيم وأهميتها ومعاييرها إنما هي في حقيقة الأمر نابعة من رغبات وأغراض البشر، سواء شملت الأفراد أو الجماعات الإنسانية التي ساهمت في إيجادها. (ستيس:١٩٩٨:١٣٢)، إذ تكمن الرغبات الإنسانية في نقل الدراسات والبحوث إلى ميدان الإنتاج، بمعزل عن شخصية المخترع أو حتى المنظومة الأخلاقية التي أصبحت خارج تلك العمليات التي تديرها الدول العظمى من خلال البرامج والبحوث الضخمة بغية تحقيق المزيد من الإبتكارات من أجل كسب المزيد من القوة المادية.(دوبار:٢٠٠٨:١٨٠)، بالتالي كما يشير البعض إلى ظهور وتكوين إنسان جديد وفقًا لمنظور الحضارة الجديدة، إذ تميزت بأنها ذات

كينونة ثقافية واجتماعية وأخلاقية جديدة، تشكلت مع التغيرات والتحولات الكبيرة لاسيما في مجال المفهوم الصناعي والتكنولوجي الحديث الذي أعطى تفسير واضح لذلك.(الحفار:١٨١:١٩٨٣-١٨٢)

أكثر من ذلك تجلت في صورة الرأسمالية التي دهنت بنوع من المفهوم الحضاري للإنسانية خلال العصر الحديث، بل أطلق عليها مفهوم الحداثة بعينها للإنسانية من خلال تنمية المجتمعات الإنسانية عبر العالم، لاسيما العالم الثالث، الذي تحطم فيه الإنتاج المحلي والتقاليد والممارسات اليومية بغية جعلها في بوتقة ومفهوم الإنتاج المادي للحضارة الحديثة. (باترسون:٤١:٢٠٠١). لم ينته الإجرام الرأسمالي على الشعوب والمجتمعات الإنسانية عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك ليصل إلى خلق الكثير من الأمراض المعدية والفتاكة، منها على سبيل المثال الأمراض التناسيلية وغيرها التي أصابت المجتمعات تلك.(ارنولد:١٩:١٩٩٨)

وهذا ما جعل البعض يعتقد أن الإنسان تقع على عاتقه في المستبقل إعادة مسيرة الحياة البشرية إلى طبيعتها المعهودة من خلال وضح حدود ومعيار لهذه التحولات المادية الضخمة من التكنولوجيا التي انتشرت بصورة كبيرة وبنوع من المطلقية غير المقيدة، نظرًا لما تركتها من أضرار كارثية بحق الإنسان والتي فقدت كل ما يمت للقيم والمفاهيم الأخلاقية والروحية بصلة، والتي كانت ولا تزال من الركائز الأساسية والمؤثرة في حياة الإنسان، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها تحت أية ذرائع أو مبررات، بغية تلافي الأضرار التي لحقت بالإنسانية جراء التحولات الاقتصادية تلك.(بيلث:١٩٩٤: ٢٣٤)، التي خلقت نوعًا من الأزمات في ذاتية الإنسان التي تحتاج إلى إيجاد القيم و المفاهيم الأخلاقية كي يكون لحياتها في الوجود نوع من المعنى والقيمة، إذ لايمكن إعطاء معنى للحياة دون ذلك.(ستورمبرج:٦٥٢:١٩٩٤.) يرى مثل توفلر ((إننا نشهد ولادة قيم حضارية جديدة" ينجم عنها بالضرورة نظام اقتصادي مختلف وبنية قيميَّة جديدة للأسرة كما يولد فيها نوع جديد من الصراعات. وهي صراعات ذات طابع تقني فائق التطور ولكنها متعارضة مع روح العصر الثقافي)). (الشمري:٢٠١٥: ٣٨١)

يمكن القول في نهاية الأمر أن القيم الأخلاقية الصحيحية المبنية على الأسس السليمة هي المعيار الحقيقي للمفهوم الحضاري وإن ادعت عقلية هذا العصر غير ذلك، الأدلة و الشواهد على مدى قبح وجرم الكينونة الإنسانية دون ذلك، فقد أكدت عليها التعاليم الدينية منها التعاليم الإسلامية التي أكدت على قيمة ومكانة هذا المفهوم وكأنه الحياة كما جاء في الآيات القرانية والأحاديث النبوية، وكما قال عنها الكثير من الباحثين والمفكرين أنه لا يمكن الاستغناء عنها تحت أية مبررات أوغايات إنسانية كما يدعو إليه بعض من الأشرار بثوب الإنسانية في عصرنا هذا، والذي أكد عليه اشفيتسر عندما قال أن فرض النظرة المادية لمنطقها على القيم الأنسانية في عصرنا اليوم يدعو إلى الكثير من القلق والفزع لما له من تأثيرات تجلت في تحويل مفهوم

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الحضارة من خدمة البشرية إلى تدمير وخراب هذا الوجود لاسيما من خلال تحويل عمليات الإنتاج في الآونة الأخيرة إلى ميدان التسليح والسباق النووي وغيرها من الأسلحة التي وجدت لخلق الحروب والنزاعات الدولية والإقلمية التي تكون نتيجتها الدمار والخراب سواء على المستوى الإنساني من خلال القتل والتهجير والمعاناة والتشريد والجوع والأمراض وما إلى ذلك من كوارث أوعلى مستوى الطبيعة المتمثلة بالإنهيار البيئي ومارافقها من تغيرات أثرت على الوجود بصورة كبيرة.

خاتمة البحث

وفي الختام يمكن القول أنه قد تم الوصول إلى بعض من الاستنتاجات الأساسية لطروحات وأفكار المفكر الألماني ألبرت اشفيتسر يمكن تلخيصها على النحو التالي:-

يمكن القول إن اشفيتسر كان واحدًا من المفكرين الكبار الذين كان لهم الباع الطويل للمفهوم العلمي لماهية الحضارة، إذ وقف على كل ما هو مفيد وذو معنى للقيمة والمنطق الحضاري بعيدًا عن روح التحيز لجهة أو منطق معين.

1. لايوجد قيام حضاري لمجتمع إنساني في هذا الكون دون أن يكون مبنيًّا على مفهوم التوازن ما بين المنطق المادي والمفاهيم والقيم الأخلاقية الحقيقية، إذ إن الإخلال بأحد هذين الشرطين يأخذ بالقيم الحضارية نحو الهاوية والخراب وحتمية الإنهيار، وإن كان الشرط المتمثل بالقيم الأخلاقية أقل خطورة من المنطق والمبادئ المادية.
2. رغم أهمية الأفراد المبدعين في العلمية الحضارية، أو ما يمكن تسميتهم في الوقت الحاضر بالقطاع الخاص، صاحب الإبتكارات والإنتاج الوافر الذي لا يمكن نكرانه ،مع ذلك يجب وضع حدود لطموحات هؤلاء لاسيما الإفراط في الانتاج الغزير والتحولات الضخمة التي تؤثر سلبًا على الإنسان وتفقد الكثير من عناصرها الذاتية مع ذلك، بحيث يتحول الإنسان جراء ذلك إلى مجرد سلعة همها الأول والأخير المنجزات المادية وإن كانت على حساب كينونتها الوجودية.
3. تتسم أهمية القيم الأخلاقية بأنها تشد من النوازع الإنسانية الخطيرة التي إن مهد أو فتح الطريق أمامها في هذا العالم لتحول الإنسان إلى مخلوق يتميز بالكثير من الشر، إذ يجلب على نفسه وعلى مايجاوره من كائنات الخراب والدمار، وهي إحدى الركائز الأساسية في البناء الحضاري.
4. لا يقتصر العمل الحضاري على جانب معين من الجوانب الإنسانية بل هو في حقيقة الأمر مفهوم شمولي يحوي في طياته أهم الإنجازات الإنسانية، هذا فضلًا عن إن ماهية هذا المفهوم يكمن في جوهره وليس في مظاهره الخارجية، والذي يحتاج إلى مبدئين أساسين هما الحرية والفكر.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

1. ابو السعود ،عطيات٢٠١٢، ، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، ط١ ، مؤسسة الهنداوي، لندن- المملكة المتحدة
2. ارنولد،دافيد، ١٩٩٨، الطب الامبريالي والمجتمعات المدنية، ت: مصطفى ابراهيم فهمي، العدد(٢٣٦)، المجلس الوطني للثقافة والفون والاداب، الكويت
3. اشبنغلر،اسوالد ،د.ت ، تدهور الحضارة الغربية،ج٢،ت: احمد الشيباني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت- لبنان
4. اشفيتسر ،البرت،١٩٨٣ ، فلسفة الحضارة، ت:عبدالرحمن البدوي، ط٣، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت- لبنان
5. الالوسي ،حسام،١٩٨٩ ، التطور و النسبية في الاخلاق، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيرت- لبنان
6. باترسون،توماس.س،٢٠٠١ ، الحضارة الغربية(الفكرة والتاريخ) ،ط١ ، المجلس الاعلى للثقافة، د.م
7. باومان،زيغمونت ،٢٠١٦ ، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، ت: سعد البارزعي وبثينة الابراهمي، ط١ ، هيئةابوظبي للثقافة، ابوظبي- الامارات
8. بردويل،فرناند، ١٩٩٩ ، تاريخ وقواعد الحضارت، ت: حسين شريف، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لاقاهرة- مصر،
9. بن نبي،مالك ،١٩٨٦ ، مشكلات الحضارة، ج١، ت: عبدالصبور شاهين،ط٣ ، دارالفكرالعربي،دمشق- سوريا
10. بيرمان،موريس، ٢٠١٠ ، انحطاط الحضارة الامريكية، ت: حسين الشوفي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق- سوريا
11. بيلث، جان ماري،١٩٩٤،عودة الوفاق بين الانسان و الطبيعة، ت: سيد محمد عثمان، العدد (١٨٩)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت
12. بينوش ،برتراند ٢٠١٣، ، التباسات الحضارة، ت: هدى مقنص، ط١ ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان
13. تايلور،ا.ج.ب ،٢٠٠٩.، الصراع على سيادة اوربا (١٨٤٨- ١٩١٨)، ت: فاضل جتكر، ط١ ، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان
14. توفلر،الفن، ١٩٩٦ ، بناء حضارة جديدة،ت: سعد زهرانى، ط١ ، مركز المحروسة للبحوث و النشر، القاهرة- مصر،
15. توينبي،ارنولد، ٢٠٠٦ ، الحضارة في الميزان، ت: امين محمود الشريف، ط٢ ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا،
16. توينبي،ارنولد، ٢٠١١ ، مختصر دراسة التاريخ، ت: محمد فؤاد شبل، ج١، ط١ ، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر،
17. جارودي،روجيه، ٢٠٠٢ ، حفاروا القبور(الحضارة التى تحفر قبرها)، ت: عزة صبحي، ط٣ ،دار الشروق، القاهرة- مصر
18. الجندية ،بتول احمد ،٢٠١١ ، على عتبات الحضارة، ط١ ، دار الملتقى، حلب- سوريا
19. حسن،طارق احمد ،٢٠١٣ ، العلاقة بين الحضارة والاخلاق،ط١ ، دار المكتبة المصرية، الاسكندرية- مصر
20. الحفار،سعيد محمد ،١٩٨٣، البيولوجيا ومصير الانسان، العدد(٨٣) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
21. الحوراني،يوسف، ١٣٩٠ه ، الانسان والحضارة، ط١، منشورات مكتبة الحياة،بيروت- لبنان،
22. دوبار،كلود ،٢٠٠٨ ، ازمة الهويات، ت: رندة بعث، ط١ ، المكتبة الشرقية، بيروت- لبنان
23. دوسن،كريستوفر، ١٩٦٧، تكوين اوربا، ت: محمد مصطفى زيادة، ط١ ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة- مصر،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

24. ديلماس،كلود ، د.ت ، تاريخ الحضارة الاوربية،ت: كوليت حبيب، الفن الحديث العالمي للطباعة والنشر،دمشق- سوريا،
25. ديني،ي. ٢٠١٢ ، اصول الاخلاق، ت:ابراهيم رمزي، ط١ ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر
26. ديورانت،ول، ١٩٩٣ ، دروس التاريخ، ت: على شلش، ط١ ، دارسعاد الصباح، الكويت- الكويت
27. رسل ،برتراند د.ت ، المجتمع البشري في الاخلاق والسياسية، ت: عبدالكريم احمد، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة- مصر
28. رسل ،برتراندك٢٠٠٨،، ، اثر العلم في المجتمع، ت: صباح صديق الدملوجي، ط١ ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان
29. رسل،برتراند، ١٩٨٣ ، حكمة الغرب،ج٢، ت: فؤاد زكريا، العدد(٧٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
30. زكريا،فؤاد، ٢٠١٨ ، الانسان و الحضارة، ط١ ، مؤسسة هنداوى، لندن- المملكة المتحدة
زكريا،فؤاد،١٩٧٨ ، التفكير العلمي، العدد(٣) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت .i
31. السامرائي ،نعمان عبدالرزاق، ٢٠٠١ ، نحن والحضارة،ج2، ط١ ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة- قطر
32. سترومبرج، رونالد،١٩٩٤،تاريخ الفكر الاوربي الحديث، ت: احمد الشيباني، ط٣، القاهرة- مصر
33. سيس،ولتر١٩٩٨،، الدين- العقل الحديث، ت: امام عبد الفتاح،،ط١ مكتبة مدبولى، القاهرة- مصر
34. صالح،عبد الحسن، ١٩٨١ ، التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان، العدد(٤٨) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
35. عبد الحميد،صائب ٢٠٠٧، ، فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي، ط١ ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان
36. عبدالملك،انور ،١٩٨٥ ، تغيرالعالم، العدد(٩٥) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
37. غروسي،روبرت.م. ، جورج .ن. ستانسيو ١٩٨٩، العلم في منظوره الجديد، ت: كمال الخلايلي، العدد(١٣٤) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
38. غينون،رينية، ٢٠١٩ ، ازمة العالم الحديث، ت: عدنان نجيب الدين،ط١ ، المركز الاسلامى للدراسات الاستراتيجية، النجف- العراق
39. فاتيمو، جان،٢٠١٤،نهاية الحداثة، ت: نجم بوفاضل،ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان.
40. فروم،اريك، ٢٠٠٧ ، الانسان من اجل ذاته، ت: محمود منقذ الهاشمي،ط١ ، د.م،ت
41. فروم،ايريش، ٢٠١٣ ، كينونة الانسان، ت: محمد حبيب،ط١ ، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية- سوريا
42. فوكوياما ،فرانسيس، ٢٠٠٦، مستقبلنا بعد البشري،ت: ايهاب عبدالرحيم محمد،ط١ ، الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،ابوظبي- الامارات
43. قرم،جورج ٢٠١١، ، تاريخ اوربا وبناء اسطورة الغرب، ت: رلي ذبيان، ط١ ، دار الفارابي، بيروت- لبنان
44. كاسر،تيم، ٢٠١٧ ، الثمن الباهظ للمادية،ت: طارق عسيلي،ط١ ،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف- العراق
45. كاسيرز،ارنست ١٩٦١، ،فلسفة الحضارة الانسانية، ت: احسان عباس،ط١ ،دار الاندلس- بيروت- لبنان
46. كان واخرون،هيرمان،١٩٨٢،العلم بعد مائتي عام، ت: شوقي الجمل،العدد(٢٥)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت
47. الكرمي،زهير ١٩٧٨، ، العلم ومشكلات الانسان المعاصر، العدد(٥) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
48. كميف،هيرفي ،٢٠١٣ ، الخروج من الرأسمالية،ت: انور مغيث،ط١ ، دار الشروق، القاهرة- مصر
49. كوك ،ريتشارد و سميث ،كريس ،٢٠٠٩ ،انتحارالغرب، ت: محمد محمود التوبة، ط١ ، دار العبيكان، الرياض- السعودية
50. لنتون،رالف ،١٩٦٤ ، الاصول الحضارية للشخصية، ت: عبد الرحمن الليان، ط١ ، دار اليقظة العربية، بيروت- لبنان

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

51. لوبون،غوستاف، ٢٠١٤ ، السنن النفسية لتطور الامم، ت: عادل زعيتر، ط١ ، مؤسسسة هنداوى للتعليم، القاهرة- مصر
52. ليكرك، جيرار،٢٠٠٤،العولمة الثقافية(الحضارات على المحك)،ت: جورج كتورة،ط١،دار الكتاب الجديد،بيروت-ة لبنان
53. مازليش ،بروس٢٠١٤، ، الحضارة ومضامينها، ت: عبدالنور خرافي العدد(٤١٢) ، المجلس الوطني للثقافة والفون والاداب، الكويت،
54. مرسي،فؤاد ١٩٩٠ ، الرأسمالية تجدد نفسها، العدد(١٤٧) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، الكويت
55. المسيري،عبد الوهاب، ٢٠٠٢ ، الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ط١ ، دار الفكر، دمشق- سوريا
56. مصطفى،نادية، ٢٠١٥ ، العدالة والديمقراطية، ط١ ، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت- لبنان
57. موران،ادغار،٢٠٠٧ ، ثقافة اوربا وبربريتها، ت: محمد الهلالي، ط١ ، داربوتقال للنشر، دار البيضاء- المغرب،
58. موران،ادغار،٢٠٠٩، الى اين يسير العالم، ت: احمد العلمي، ط١، الدار العربية للعوم ناشرون، بيروت- لبنان،
59. الندوي،ابي الحسن الندوي، ١٤٠٢ه، اهمية الحضارة في تاريخ الديانات ط١، مكتبة العلامة عبدالحميد الحسيني، د.م،
60. النشار،مصطفى، ٢٠٠٤ ، فلسفة التاريخ، ط١ ، شركة الامل للطباعة و النشر، القاهرة- مصر،
61. هابرماس ،يورجين، ٢٠١٢ ، الاخلاق والتواصل، ت: ابوالنور حمدي، ط١ ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان
62. هازار ،بول،٢٠٠٩ ، ازمة الوعي الاوربي (١٨٦٠-١٧١٥)، ت: يوسف عاصي،ط١ ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان
63. هازار،بول، ١٩٤٨ ، ازمة الضمير الاوربي ١٦٨٠- ١٧١٥، ت: جودت عثمان- محمد نجيب، ط١ ، مطبعة الكتاب المصري، القاهرة- مصر،
64. هوبزباوم،اريك، ٢٠١٥ ، ازمنة متصدعة، ت: سهام عبدالسلام،ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،دوحة- قطر
65. هيملفارب،غيرترود ٢٠٠٩ ، الطرق الى الحداثة، ت: محمود سيد احمد، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت
66. الوردي،على ٢٠١١ ، في النفس والمجتمع، ط١ ، مكتبة بساتين المعرفة، بيروت- لبنان
67. ويلسون ،كولن ،١٩٨٢ ، سقوط الحضارة، ت: انيس زكي حسن ط٣ ، دار الاداب، بيروت- لبنان،
68. يونغ،روبرت ،٢٠١٨ ، مابعد الكولونيالية، ت: عدنان حسن، ط١ ، دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية- سوريا

ثانيًا: المجلات

1- الشمري، قاسم صاحب عبدالحسين، منطق الحضارة المعاصرة والقيم الاخلاقية من وجهة نظر الفين توفلر. لارك.١٥.(٤).٣٧٨-٤٠٨

https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss20.675

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية